الجانب الأخلاقي في وثيقة الأخوة الإنسانية
دراسة تحليلية

إعداد الدكتور
أحمد الهادي زكريا شحاتة
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
جامعة الأزهر

الجانب الأخلاقي في وثيقة الأخوة الإنسانية
دراسة تحليلية

أحمد الهادي زكريا شحاتة .

قسم العقيدة والفلسفة – كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – جامعة الأزهر – مصر.

البريد الإلكتروني: ahmedzakaria662012@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الجانب الأخلاقي في وثيقة الأخوة الإنسانية ، فمن أهم القيم التي ترسخها الوثيقة أنها وضعت عدة مبادئ أخلاقية داخل إطار مبدأ التسامح ، وما يتضمنه من معاني قبول الآخر والتعايش السلمي ؛ فالقيم والأخلاق الحميدة من أهم الركائز التي تبني عليها المجتمعات ، وتقام عليها الأمم ، ولقد تناولت في هذه الدراسة : مفهوم الأخوة الإنسانية وحرمة النفس ، والتمسك بقيم السلام وإعلاء قيم التعارف المتبادل ، ونشر الأخلاق والفضائل العليا التي تدعو إليها الأديان ، ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر ، والتعايش بين الناس ، وأن مفهوم المواطنة يقوم على المساواة في الواجبات والحقوق التي ينعم في ظلالها الجميع بالعدل ؛ وأن العلاقة بين الشرق والغرب هي ضرورة قصوى لكليهما ، لا يمكن الاستعاضة عنها أو تجاهلها، ليغتني كلاهما من الحضارة الأخرى عبر التبادل وحوار الثقافات. وكان لطبيعة الدراسة أن أتناول المنهج التحليلي ، ثم ذيلت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج المستخلصة و قائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : القيم الأخلاقية – وثيقة الإخوة الإنسانية – التعايش – السلام .

The Ethical Side in the Document of The humanisitic Brotherood
" Analytic study "

Ahmed Elhady zakaria shahata
Department of Belief and Philosophy ,College of Fundamentals of Religion and Da`wah in Mansoura.: Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: ahmedzakaria662012@gmail.com

Abstract :

This study revolves around the ethical aspect of the human fraternity document. One of the most important values that the document establishes is that it placed several ethical principles within the framework of the principle of tolerance, and the meanings it contains of acceptance of others and peaceful coexistence Values and good morals are among the most important pillars on which societies build and nations are established, I have dealt with in this study: the concept of human brotherhood and the sanctity of the soul, adherence to the values of peace and upholding the values of mutual acquaintance, spreading morals and the highest virtues advocated by religions, spreading a culture of tolerance and acceptance of others, coexistence among people, and that the concept of citizenship is based on equality in duties and rights that it enjoys. In their shadows all are justly; And that the relationship between East and West is a supreme necessity for both of them, which cannot be replaced or ignored, so that both of them can be enriched from the other civilization through exchange and dialogue between cultures. The nature of the study was to address the analytical method, and then the research was appended to a conclusion that included the most important findings drawn and a list of sources and references.

Keywords: Moral Values - Human Fraternity Document - Coexistence - Peace.□

المقدمة

إِنَّ الْحَمْد للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضْلُلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدُهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وبَعْدُ:

فإنّ الأخلاق هي أساس رقي الأمم وتقدمها، وأساس ازدهارها، وقد حثت الرّسالات السّماويّة على القيم الأخلاقيّة التي تنظّم علاقة الإنسان بكل ما يحيط به، فالأخلاق تنظّم علاقة الإنسان مع ربه من حيث عبادته، وتنظّم علاقة الإنسان مع نفسه بما يحقّق سعادته، كما أنّها تنظّم علاقة الإنسان مع غيره من حيث تعامله مع الناس، وللقيم الأخلاقية قاسمًا مشتركًا بين جميع الديانات، فليس هناك من ديانة إلا وهي تدعو أتباعها إلى القيم الأخلاقيّة.

وتعتبر الأخلاق أهم الدعائم والأسس التي يقوم عليها نظام الحياة البشرية، وهي علامة لكمال الإيمان وسمة من سمات المؤمن، ومقصدًا لرسالته ومهمته، فمكارم الأخلاق أشد حاجة للأفراد والمجتمع البشري، وغاية من أسمى الغايات الإنسانية، ومن أعظم المقومات للحضارة الإنسانية، لا يمكن الاستغناء عنها لأي نوع من الأنواع البشرية، ولا لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، وحسن الخلق من أفضل ما يقرب العبد إلى الله تعالى، وإذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبّه الله والناس، وحسن الخلق يألف الناس ويألفه، وحسن الخلق يدل على سماحة النفس وكرم الطبع، وحسن الخلق يرفع الدرجات وعلو الهمم، فحسن الخلق أمر مطلوب وواجب على المؤمن، وتجنب أخلاق السوء أمر لازم مؤكد.

والله تعالى الذي خلق الناس جميعًا وخلق الكون والخلائق وساوَى بينَهم برحمتِه، دعا الأنبياء والرسل عليهم السلام، إلى الدعوة والتمسك بهذا المبدأ الراسخ –الأخوة الإنسانية ونشر القيم الأخلاقية–، حتى يرتقى البشرُ وتعمرَ الأرضُ.

والديانات السماوية تحث على الأخوة الإنسانية، وتحرّمُ التفرقة والتمييز بين الناس، وتجعل التقوى والعمل الصالح والعمل الأجود والأفضل هو معيار الأفضلية بين الناس، وستظل الأُخُوَّة هي الرابطة العالمية للإنسان، التي تجمَع ما فرقته السياسة العنصرية، فالكل يعرف أنه أخ للإنسان من حيثُ الجنس والنوع والخاصة والكرامة والشعور بالحاجة لأخيه، والكل ينشد العدل والمساواة والكرامة والأمن والسعادة، والكل يعرف أنه مخلوق ضعيف فقير إلى ربه يجهل أكثر مما يعلم، والكل لديه نوازع الخير ونوازع الشر؛ فيمكن أن يتريَّض بالخير حتى يصير طبعًا له.

وهذا ما أكدته وثيقة الأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ، والتي تم توقيعها في الرابع من فبراير لعام ألفين وتسعة عشر من الميلاد (٤-٢ فبراير ٢٠١٩م)، بدولة "الإمارات" وبرعاية من القيادة الحكيمة، وقّع عليها الإمام الاكبر فضيلة الأستاذ الدكتور/ **أحمد محمد أحمد الطيب**، شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس حكماء المسلمين، وقداسة **البابا فرنسيس** بابا الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان، وهي أول وثيقة إنسانية من رمزي الديانتين الكبيرتين لصالح البشر أجمعين، حيث جرى العَمَلُ عليها بإخلاصٍ وجديَّةٍ؛ لتكونَ إعلانًا مُشتَركًا عن نَوايا صالحةٍ وصادقةٍ من أجل دعوةِ كُلِّ مَن يَحمِلُونَ في قُلوبِهم إيمانًا باللهِ وإيمانًا بالأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ، أن يَتَوحَّدُوا ويَعمَلُوا معًا من أجلِ أن تُصبِحَ هذه الوثيقةُ دليلًا للأجيالِ القادِمةِ، يَأخُذُهم إلى ثقافةِ الاحترامِ المُتبادَلِ، في جَوٍّ من إدراكِ النِّعمةِ الإلهيَّةِ الكُبرَى التي جَعلَتْ من الخلقِ جميعًا إخوة.

ووثيقة الأخوة الإنسانية، تؤكد على الإيمان بالله الذي خَلَقَ الناسَ جميعًا وخَلَقَ الكونَ والخلائقَ وساوَى بينَهم برحمتِه، وعلى المساواة والاتحاد والتعاون والتسامح والود والتراحم، وعلى تفعيل الحوار البناء حول التعايش والتآخي بين البشر وسبل تعزيزه عالميًا، وأن العدل القائم على الرحمة هو السبيل الواجب اتباعه للوصول إلى حياة كريمة يحق لكل إنسان أن يحيا في كنفها، وأن الحوار والتفاهم ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر والتعايش بين الناس، وأن الحوار بين المؤمنين يعني التلاقي في المساحة الهائلة للقيم الروحية والإنسانية والاجتماعية المشتركة، واستثمار ذلك في نشر الأخلاق والفضائل العليا التي تدعو إليها الأديان، وتجنب الجدل العقيم، وأن حماية دور العبادة، من معابد وكنائس ومساجد، واجب تكفله كل الأديان والقيم الإنسانية والمواثيق والأعراف الدولية، وكل محاولة للتعرض لدور العبادة، واستهدافها بالاعتداء أو التفجير أو التهديم، هي خروج صريح عن تعاليم الأديان، كما أنها تؤكد على التصدي للتطرف الفكري وسلبياته وتعزيز العلاقات الإنسانية وإرساء قواعد جديدة لها بين أهل الأديان والعقائد المتعددة، وأن التعاليم الصحيحة للأديان تدعو إلى التمسك بقيم السلام وإعلاء قيم التعارف المتبادل؛ وأن الحرية حق لكل إنسان: اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا وممارسة، وأن حماية حقوق المسنين والضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة والمستضعفين ضرورة دينية ومجتمعية يجب العمل على توفيرها وحمايتها، كما أقرت الوثيقة حقوق المرأة في التعليم والعمل وممارسة حقوقها السياسية، وكذلك وجوب تحريرها من الضغوط التاريخية والاجتماعية المنافية لكرامتها، وحمايتها من الاستغلال الجنسي، ومن معاملتها بصفتها للتمتعَّ والتربح، وطالبت الوثيقة بوقف كل الممارسات والعادات المبتذلة لكرامة المرأة، وتعديل التشريعات التي تحول دون حصول النساء على حقوقهن كاملة، كما نصت الوثيقة على حقوق الأطفال في التنشئة الأسرية، والتغذية والتعليم والرعاية، وطالبت بتجريم المتاجرة بطفولتهم البريئة، أو انتهاكها بأي صورة من الصور.

إن وثيقة الأخوة الإنسانية تؤكد إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخوة والأخلاق الكريمة.

وتكمن أهمية البحث وأسباب اختياره: في التأكيد على أهمية وثيقة الأخوة الإنسانية، وإظهار الجانب الأخلاقي منها، لأنّ الأخلاق الحسنة إنّما هي امتثال لأوامر الله تعالى، وقد أمرت الرّسالات السّماويّة أتباعها بالتحلّي بالأخلاق الكريمة، كما تكمن أسباب اختيار البحث؛ في قيمة وثيقة الأخوة الإنسانية، حيث إنها وضعت إطار لدستور عالمي جديد يرسم خريطة طريق لمستقبل البشرية، وبينت واقع المجتمع الإنساني وحددت أهم القضايا التي يعيشها، وذكرت سبل حلها، لكي تكون دليلًا للأجيال القادمة، كما تكمن أسباب اختيار البحث؛ في إلقاء الضوء على الجهد الكبير والدور الفعال الذي قاما به كلٌ من فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد أحمد الطيب، الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس حكماء المسلمين، وقداسة البابا فرنسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان، في وثيقة الأخوة الإنسانية، وعليه كان لا بدّ من بيان الجانب الأخلاقيّ في وثيقة الأخوة الإنسانية، وحثّ البشرية على التحلي بها.

وتظهر إشكالية البحث من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما مفهوم الأخوة الإنسانية؟

السؤال الثاني: ما المقصود بالقيم الأخلاقيّة في المسيحيّة والإسلام؟

السؤال الثالث: كيف يمكن أن يسهم التعايش السلمي في تعزيز الوحدة الوطنية بين الشعوب؟

السؤال الرابع: ما أهمية الدور الذي قام به كلٌ من فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، وقداسة البابا فرنسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية بالفاتيكان، في وثيقة الأخوة الإنسانية؟

وأمّا المنهج الذي سلكناه في هذا البحث، فهو المنهج التحليلي، والاستقرائي.

المنهج التحليليّ: حيث يتطلب البحث الوقوف على النصوص المتضمنة للقيم الأخلاقية في الإنجيل والقرآن الكريم، ونص وثيقة الأخوة الإنسانية وتحليلها.

المنهج الاستقرائيّ: حيث تتبعنا الجانب الأخلاقي في نصوص الإنجيل والقرآن الكريم، ونص وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل الوصول إلى الأحكام العامة المتعلقة بموضوع البحث.

هذا وقد جاء البحث مشتملًا على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول.

المقدمة: وتشتمل على التعريف بالبحث وأهميته وأسباب اختياره، والخطة التي اشتمل عليها البحث.

تمهيد: ويشتمل على مقدمة ونص وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك.

الفصل الأول: الأخوة الإنسانية وحرمة النفس.

المبحث الأول: مفهوم الأخوة الإنسانية وحرمة النفس.

المبحث الثاني: الأخوة الإنسانية وحرمة النفس في الإنجيل والقرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأخوة الإنسانية وحرمة النفس في وثيقة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان.

الفصل الثاني: القيم الأخلاقية من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية.

المبحث الأول: مفهوم القيم الأخلاقية.

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في الإنجيل والقرآن الكريم.

المبحث الثالث: القيم الأخلاقية في وثيقة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان.

الفصل الثالث: التعايش السلمي وقبول الآخر من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية.

المبحث الأول: مفهوم التعايش السلمي.

المبحث الثاني: التعايش السلمي في الإنجيل والقرآن الكريم.

المبحث الثالث: التعايش السلمي في وثيقة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان.

وأخيرًا: الخاتمة، ثم فهرس المصادر والمراجع .

وبعد؛ فإن كان من فضل وتوفيق فمن الله وحده، وإن كان من خطأ، أو سهو، أو نسيان، فذلك من نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء، والحمد لله أولًا وأخيرًا، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. أحمد الهادي زكريا شحاتة
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
جامعة الأزهر

(تمهيد)

مقدمة ونص وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك

الأزهر الشريف — الكنيسة الكاثوليكية

مقدمة:

يحملُ الإيمانُ المؤمنَ على أن يَرَى في الآخَر أخًا له، عليه أن يُؤازرَه ويُحبَّه. وانطلاقًا من الإيمان بالله الذي خَلَقَ الناسَ جميعًا وخَلَقَ الكونَ والخلائقَ وساوَى بينَهم برحمتِه، فإنَّ المؤمنَ مَدعُوٌّ للتعبيرِ عن هذه الأُخوَّةِ الإنسانيَّةِ بالاعتناءِ بالخَلِيقةِ وبالكَوْنِ كُلِّه، وبتقديمِ العَوْنِ لكُلِّ إنسانٍ، لا سيَّما الضُّعفاءِ منهم والأشخاصِ الأكثرِ حاجَةً وعَوَزًا.

وانطلاقًا من هذا المعنى المُتسامِي، وفي عِدَّةِ لقاءاتٍ سادَها جَوٌّ مُفعَمٌ بالأُخوَّةِ والصَّداقةِ تَشارَكنا الحديثَ عن أفراحِ العالم المُعاصِر وأحزانِه وأزماتِه سواءٌ على مُستَوى التقدُّم العِلميِّ والتقنيِّ، والإنجازاتِ العلاجيَّة، والعصرِ الرَّقميِّ، ووسائلِ الإعلامِ الحديثةِ، أو على مستوى الفقرِ والحُروبِ، والآلامِ التي يُعاني منها العديدُ من إخوتِنا وأخَواتِنا في مَناطقَ مُختلِفةٍ من العالمِ، نتيجةَ سِباقِ التَّسلُّح، والظُّلمِ الاجتماعيِّ، والفسادِ، وعدَمِ المُساواةِ، والتدهورِ الأخلاقيِّ، والإرهابِ، والعُنصُريَّةِ والتَّطرُّفِ، وغيرِها من الأسبابِ الأُخرى.

ومن خِلالِ هذه المُحادَثاتِ الأخَويَّةِ الصادِقةِ التي دارت بينَنا، وفي لقاءٍ يَملَؤُهُ الأمَلُ في غَدٍ مُشرِق لكُلِّ بني الإنسانِ، وُلِدت فكرةُ «وثيقة الأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ»، وجرى العَمَلُ عليها بإخلاصٍ وجديَّةٍ؛ لتكونَ إعلانًا مُشتَرَكًا عن نَوايا صالحةٍ وصادقةٍ من أجل دعوةِ كُلِّ مَن يَحمِلُونَ في قُلوبِهم إيمانًا باللهِ وإيمانًا بالأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ أن يَتَوحَّدُوا ويَعمَلُوا معًا من أجلِ أن تُصبِحَ هذه الوثيقةُ دليلًا للأجيالِ القادِمةِ، يَأخُذُهم إلى ثقافةِ الاحترامِ المُتبادَلِ، في جَوٍّ من إدراكِ النِّعمةِ الإلهيَّةِ الكُبرَى التي جَعلَتْ من الخلقِ جميعًا إخوةً.

نص الوثيقة:

باسمِ اللهِ الَّذي خَلَقَ البَشَرَ جميعًا مُتَساوِين في الحُقُوقِ والواجباتِ والكَرامةِ، ودَعاهُم للعَيْشِ كإخوةٍ فيما بَيْنَهم ليُعَمِّروا الأرضَ، ويَنشُروا فيها قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ.

باسمِ النفسِ البَشَريَّةِ الطَّاهِرةِ التي حَرَّمَ اللهُ إزهاقَها، وأخبَرَ أنَّه مَن جَنَى على نَفْسٍ واحدةٍ فكأنَّه جَنَى على البَشَريَّةِ جَمْعاءَ، ومَنْ أَحْيَا نَفْسًا واحدةً فكَأنَّما أَحْيَا الناسَ جميعًا.

باسمِ الفُقَراءِ والبُؤَساءِ والمَحرُومِينَ والمُهمَّشِينَ الَّذين أَمَرَ اللهُ بالإحسانِ إليهم ومَدِّ يَدِ العَوْنِ للتَّخفِيفِ عنهم، فرضًا على كُلِّ إنسانٍ لا سيَّما كُلِّ مُقتَدِرٍ ومَيسُورٍ.

باسمِ الأيتامِ والأَرامِلِ، والمُهَجَّرينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم، وكُلِّ ضَحايا الحُرُوبِ والاضطِهادِ والظُّلْمِ، والمُستَضعَفِينَ والخائِفِينَ والأَسْرَى والمُعَذَّبِينَ في الأرضِ، دُونَ إقصاءٍ أو تمييزٍ.

باسمِ الشُّعُوبِ التي فقَدَتِ الأَمْنَ والسَّلامَ والتَّعايُشَ، وحَلَّ بها الدَّمارُ والخَرَابُ والتَّناحُر.

باسمِ «الأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ» التي تَجمَعُ البَشَرَ جميعًا، وتُوحِّدُهم وتُسوِّي بينَهم.

باسم تلك الأُخُوَّةِ التي أرهَقَتْها سِياساتُ التَّعَصُّبِ والتَّفرِقةِ، التي تَعبَثُ بمَصائِرِ الشُّعُوبِ ومُقَدَّراتِهم، وأَنظِمةُ التَّرَبُّحِ الأَعْمَى، والتَّوَجُّهاتُ الأيدلوجيَّةِ البَغِيضةِ.

باسمِ الحُرِّيَّةِ التي وَهَبَها اللهُ لكُلِّ البَشَرِ وفطَرَهُم عليها ومَيَّزَهُم بها.

باسمِ العَدْلِ والرَّحمةِ، أساسِ المُلْكِ وجَوْهَرِ الصَّلاحِ.

باسمِ كُلِّ الأشخاصِ ذَوِي الإرادةِ الصالحةِ، في كلِّ بِقاعِ المَسكُونَةِ.

باسمِ اللهِ وباسمِ كُلِّ ما سَبَقَ، يُعلِنُ الأزهَرُ الشريفُ – ومِن حَوْلِه المُسلِمُونَ في مَشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها – والكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ – ومِن حولِها الكاثوليك من الشَّرقِ والغَرْبِ – تَبنِّي ثقافةِ الحوارِ دَرْبًا، والتعاوُنِ المُشتركِ سبيلًا، والتعارُفِ المُتَبادَلِ نَهْجًا وطَرِيقًا.

إنَّنا نحن – المُؤمِنين باللهِ وبلِقائِه وبحِسابِه – ومن مُنطَلَقِ مَسؤُولِيَّتِنا الدِّينيَّةِ والأدَبيَّةِ، وعَبْرَ هذه الوثيقةِ، نُطالِبُ أنفُسَنا وقادَةَ العالَمِ، وصُنَّاعَ السِّياساتِ الدَّولِيَّةِ والاقتصادِ العالَمِيِّ، بالعمَلِ جدِّيًّا على نَشْرِ ثقافةِ التَّسامُحِ والتعايُشِ والسَّلامِ، والتدخُّلِ فَوْرًا لإيقافِ سَيْلِ الدِّماءِ البَرِيئةِ، ووَقْفِ ما يَشهَدُه العالَمُ حاليًّا من حُرُوبٍ وصِراعاتٍ وتَراجُعٍ مناخِيٍّ وانحِدارٍ ثقافيٍّ وأخلاقيٍّ.

ونَتَوجَّهُ للمُفكِّرينَ والفَلاسِفةِ ورِجالِ الدِّينِ والفَنَّانِينَ والإعلاميِّين والمُبدِعِينَ في كُلِّ مكانٍ ليُعِيدُوا اكتشافَ قِيَمِ السَّلامِ والعَدْلِ والخَيْرِ والجَمالِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المُشتَرَكِ، وليُؤكِّدوا أهميَّتَها كطَوْقِ نَجاةٍ للجَميعِ، وليَسعَوْا في نَشْرِ هذه القِيَمِ بينَ الناسِ في كلِّ مكان.

إنَّ هذا الإعلانَ الذي يأتي انطِلاقًا من تَأمُّلٍ عَمِيقٍ لواقعِ عالَمِنا المُعاصِرِ وتقديرِ نجاحاتِه ومُعايَشةِ آلامِه ومَآسِيهِ وكَوارِثِه – لَيُؤمِنُ إيمانًا جازمًا بأنَّ أهمَّ أسبابِ أزمةِ العالَمِ اليَوْمَ يَعُودُ إلى تَغييبِ الضميرِ الإنسانيِّ وإقصاءِ الأخلاقِ

الدِّينيَّةِ، وكذلك استِدعاءُ النَّزْعَةِ الفرديَّةِ والفَلْسَفاتِ المادِّيَّةِ، التي تُؤَلِّهُ الإنسانَ، وتَضَعُ القِيَمَ المادِّيَّةَ الدُّنيويَّةَ مَوْضِعَ المَبادِئِ العُلْيَا والمُتسامِية.

إنَّنا، وإنْ كُنَّا نُقدِّرُ الجوانبَ الإيجابيَّةَ التي حقَّقَتْها حَضارَتُنا الحَدِيثةُ في مَجالِ العِلْمِ والتِّقنيةِ والطبِّ والصِّناعةِ والرَّفاهِيةِ، وبخاصَّةٍ في الدُّوَلِ المُتقدِّمةِ، فإنَّا – مع ذلك – نُسجِّلُ أنَّ هذه القَفزات التاريخيَّةَ الكُبرى والمَحمُودةَ تَراجَعَتْ معها الأخلاقُ الضَّابِطةُ للتصرُّفاتِ الدوليَّةِ، وتَراجَعَتِ القِيَمُ الرُّوحِيَّةُ والشُّعُورُ بالمَسؤُولِيَّةِ؛ ممَّا أسهَمَ في نَشْرِ شُعُورٍ عامٍّ بالإحباطِ والعُزْلَةِ واليَأْسِ، ودَفَعَ الكَثِيرينَ إلى الانخِراطِ إمَّا في دَوَّامةِ التَّطرُّفِ الإلحاديِّ واللادينيِّ، وإمَّا في دوامة التَّطرُّفِ الدِّينيِّ والتشدُّدِ والتَّعصُّبِ الأعمى، كما دَفَعَ البعضَ إلى تَبَنِّي أشكالٍ من الإدمانِ والتَّدمِيرِ الذاتيِّ والجَماعيِّ.

إنَّ التاريخَ يُؤكِّدُ أنَّ التطرُّفَ الدِّينيَّ والقوميَّ والتعصُّبَ قد أثمَرَ في العالَمِ، سواءٌ في الغَرْبِ أو الشَّرْقِ، ما يُمكِنُ أن نُطلِقَ عليه بَوادِر «حربٍ عالميَّةٍ ثالثةٍ على أجزاءٍ»، بدَأَتْ تَكشِفُ عن وَجهِها القبيحِ في كثيرٍ من الأماكنِ، وعن أوضاعٍ مَأساويَّةٍ لا يُعرَفُ – على وَجْهِ الدِّقَّةِ – عَدَدُ مَن خلَّفَتْهم من قَتْلَى وأرامِلَ وثَكالى وأيتامٍ، وهناك أماكنُ أُخرَى يَجرِي إعدادُها لمَزيدٍ من الانفجارِ وتكديسِ السِّلاح وجَلْبِ الذَّخائرِ، في وَضْعٍ عالَمِيٍّ تُسيطِرُ عليه الضَّبابيَّةُ وخَيْبَةُ الأملِ والخوفُ من المُستَقبَلِ، وتَتحكَّمُ فيه المَصالحُ الماديَّةُ الضيِّقة.

ونُشدِّدُ أيضًا على أنَّ الأزماتِ السياسيَّةَ الطاحنةَ، والظُّلْمَ وافتِقادَ عَدالةِ التوزيعِ للثرواتِ الطبيعيَّة – التي يَستأثِرُ بها قِلَّةٌ من الأثرياءِ ويُحرَمُ منها السَّوادُ الأعظَمُ من شُعُوبِ الأرضِ – قد أَنْتَجَ ويُنْتِجُ أعدادًا هائلةً من المَرْضَى والمُعْوِزِين والمَوْتَى، وأزماتٍ قاتلةً تَشهَدُها كثيرٌ من الدُّوَلِ، برغمِ ما تَزخَرُ به تلك البلادُ من كُنوزٍ وثَرواتٍ، وما تَملِكُه من سَواعِدَ قَويَّةٍ وشبابٍ واعدٍ. وأمامَ هذه الأزمات التي

تجعَلُ مَلايينَ الأطفالِ يَمُوتُونَ جُوعًا، وتَتَحَوَّلُ أجسادُهم – من شِدَّةِ الفقرِ والجوعِ – إلى ما يُشبِهُ الهَيَاكِلَ العَظميَّةَ الباليةَ، يَسُودُ صمتٌ عالميٌّ غيرُ مقبولٍ.

وهنا تَظهَرُ ضرورةُ الأُسرَةِ كنواةٍ لا غِنى عنها للمُجتمعِ وللبشريَّةِ، لإنجابِ الأبناءِ وتَربيتِهم وتَعليمِهم وتَحصِينِهم بالأخلاقِ وبالرعايةِ الأُسريَّةِ، فمُهاجَمةُ المُؤسَّسةِ الأسريَّةِ والتَّقليلُ منها والتَّشكيكُ في أهميَّةِ دَوْرِها هو من أخطَرِ أمراض عَصرِنا.

إنَّنا نُؤكِّدُ أيضًا على أهميَّةِ إيقاظِ الحِسِّ الدِّينيِّ والحاجةِ لبَعْثِه مُجدَّدًا في نُفُوسِ الأجيالِ الجديدةِ عن طريقِ التَّربيةِ الصَّحِيحةِ والتنشئةِ السَّليمةِ والتحلِّي بالأخلاقِ والتَّمسُّكِ بالتعاليمِ الدِّينيَّةِ القَويمةِ لمُواجَهةِ النَّزعاتِ الفرديَّةِ والأنانيَّةِ والصِّدامِيَّةِ، والتَّطرُّفِ والتعصُّبِ الأعمى بكُلِّ أشكالِه وصُوَرِه.

إنَّ هَدَفَ الأديانِ الأوَّلَ والأهمَّ هو الإيمانُ بالله وعبادتُه، وحَثُّ جميعِ البَشَرِ على الإيمانِ بأنَّ هذا الكونَ يَعتَمِدُ على إلهٍ يَحكُمُه، هو الخالقُ الذي أَوْجَدَنا بحِكمةٍ إلهيَّةٍ، وأَعْطَانَا هِبَةَ الحياةِ لنُحافِظَ عليها، هبةً لا يَحِقُّ لأيِّ إنسانٍ أن يَنزِعَها أو يُهَدِّدَها أو يَتَصرَّفَ بها كما يَشاءُ، بل على الجميعِ المُحافَظةُ عليها منذُ بدايتِها وحتى نهايتِها الطبيعيَّةِ؛ لذا نُدِينُ كُلَّ المُمارَسات التي تُهدِّدُ الحياةَ؛ كالإبادةِ الجماعيَّةِ، والعَمَليَّاتِ الإرهابيَّة، والتهجيرِ القَسْرِيِّ، والمُتاجَرةِ بالأعضاءِ البشَرِيَّةِ، والإجهاضِ، وما يُطلَقُ عليه الموت (اللا) رَحِيم، والسياساتِ التي تُشجِّعُها.

كما نُعلنُ – وبحَزمٍ – أنَّ الأديانَ لم تَكُنْ أبَدًا بَرِيدًا للحُرُوبِ أو باعثةً لمَشاعِرِ الكَراهِيةِ والعداءِ والتعصُّبِ، أو مُثِيرةً للعُنْفِ وإراقةِ الدِّماءِ، فهذه المَآسِي حَصِيلَةُ الانحِرافِ عن التعاليمِ الدِّينيَّة، ونتيجةُ استِغلالِ الأديانِ في السِّياسَةِ، وكذا تأويلاتُ طائفةٍ من رِجالاتِ الدِّينِ – في بعض مَراحِلِ التاريخِ – ممَّن وظَّف بعضُهم الشُّعُورَ الدِّينيَّ لدَفْعِ الناسِ للإتيانِ بما لا علاقةَ له بصَحِيحِ الدِّينِ، من أجلِ تَحقِيقِ أهدافٍ سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ دُنيويَّةٍ ضَيِّقةٍ؛ لذا فنحنُ نُطالِبُ الجميعَ

بوَقْفِ استخدامِ الأديانِ في تأجيجِ الكراهيةِ والعُنْفِ والتطرُّفِ والتعصُّبِ الأعمى، والكَفِّ عن استخدامِ اسمِ الله لتبريرِ أعمالِ القتلِ والتشريدِ والإرهابِ والبَطْشِ؛ لإيماننا المُشتَرَكِ بأنَّ الله لم يَخْلُقِ الناسَ ليُقَتِّلوا أو ليَقَاتَلُوا أو يُعذِّبُوا أو يُضيِّقَ عليهم في حَياتِهم ومَعاشِهم، وأنَّه – عَزَّ وجَلَّ – في غِنًى عمَّن يُدَافِعُ عنه أو يُرْهِبُ الآخَرِين باسمِه.

إنَّ هذه الوثيقةَ، إذ تَعتَمِدُ كُلَّ ما سبَقَها من وَثائِقَ عالَمِيَّةٍ نَبَّهَتْ إلى أهميَّةِ دَوْرِ الأديانِ في بِناءِ السَّلامِ العالميِّ، فإنَّها تُؤكِّدُ الآتي:–

- القناعةُ الراسخةُ بأنَّ التعاليمَ الصحيحةَ للأديانِ تَدعُو إلى التمسُّك بقِيَمِ السلام وإعلاءِ قِيَمِ التعارُفِ المُتبادَلِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المشترَكِ، وتكريس الحِكْمَةِ والعَدْلِ والإحسانِ، وإيقاظِ نَزْعَةِ التديُّن لدى النَّشْءِ والشبابِ؛ لحمايةِ الأجيالِ الجديدةِ من سَيْطَرَةِ الفكرِ المادِّيِّ، ومن خَطَرِ سِياساتِ التربُّح الأعمى واللامُبالاةِ القائمةِ على قانونِ القُوَّةِ لا على قُوَّةِ القانونِ.
- أنَّ الحريَّةَ حَقٌّ لكُلِّ إنسانٍ: اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا ومُمارَسةً، وأنَّ التَّعدُّدِيَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لمَشِيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ البشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا تَتَفَرَّعُ عنه حُقُوقُ حُريَّةِ الاعتقادِ، وحريَّةِ الاختلافِ، وتجريمِ إكراهِ الناسِ على دِينٍ بعَيْنِه أو ثقافةٍ مُحدَّدةٍ، أو فَرْضِ أسلوبٍ حضاريٍّ لا يَقبَلُه الآخَر.
- أنَّ العدلَ القائمَ على الرحمةِ هو السبيلُ الواجبُ اتِّباعُه للوُصولِ إلى حياةٍ كريمةٍ، يحقُّ لكُلِّ إنسانٍ أن يَحْيَا في كَنَفِها.

- أنَّ الحوارَ والتفاهُمَ ونشرَ ثقافةِ التسامُحِ وقَبُولِ الآخَرِ والتعايُشِ بين الناسِ، من شأنِه أن يُسهِمَ في احتواءِ كثيرٍ من المشكلاتِ الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة التي تُحاصِرُ جُزءًا كبيرًا من البَشَرِ.

- أنَّ الحوارَ بين المُؤمِنين يَعنِي التلاقيَ في المساحةِ الهائلةِ للقِيَمِ الرُّوحيَّةِ والإنسانيَّةِ والاجتماعيَّةِ المُشترَكةِ، واستثمارَ ذلك في نَشْرِ الأخلاقِ والفَضائلِ العُلْيَا التي تدعو إليها الأديانُ، وتَجنُّبَ الجَدَلِ العَقِيمِ.

- أنَّ حمايةَ دُورِ العبادةِ، من مَعابِدَ وكَنائِسَ ومَساجِدَ، واجبٌ تكفُلُه كُلُّ الأديانِ والقِيَمِ الإنسانيَّةِ والمَوَاثيقِ والأعرافِ الدوليَّةِ، وكلُّ محاولةٍ للتعرُّضِ لِدُورِ العبادةِ، واستهدافِها بالاعتداءِ أو التفجيرِ أو التهديمِ، هي خُروجٌ صَرِيحٌ عن تعاليمِ الأديانِ، وانتهاكٌ واضحٌ للقوانينِ الدوليَّةِ.

- أنَّ الإرهابَ البَغِيضَ الذي يُهدِّدُ أمنَ الناسِ، سَواءٌ في الشَّرْقِ أو الغَرْبِ، وفي الشَّمالِ والجَنوبِ، ويُلاحِقُهم بالفَزَعِ والرُّعْبِ وتَرَقُّبِ الأَسْوَأِ، ليس نِتاجًا للدِّين – حتى وإنْ رَفَعَ الإرهابيُّون لافتاتِه ولَبِسُوا شاراتِه – بل هو نتيجةٌ لتَراكُماتِ الفُهُومِ الخاطئةِ لنُصُوصِ الأديانِ وسِياساتِ الجُوعِ والفَقْرِ والظُّلْمِ والبَطْشِ والتَّعالِي؛ لذا يجبُ وَقْفُ دَعْمِ الحَرَكاتِ الإرهابيَّةِ بالمالِ أو بالسلاحِ أو التخطيطِ أو التبريرِ، أو بتوفيرِ الغِطاءِ الإعلاميِّ لها، واعتبارُ ذلك من الجَرائِمِ الدوليَّةِ التي تُهدِّدُ الأَمْنَ والسِّلْمَ العالميَّين، ويجب إدانةُ ذلك التَّطرُّفِ بكُلِّ أشكالِه وصُوَرِه.

- أنَّ مفهومَ المواطنةِ يقومُ على المُساواةِ في الواجباتِ والحُقوقِ التي يَنعَمُ في ظِلالِها الجميعُ بالعدلِ؛ لذا يَجِبُ العملُ على ترسيخِ مفهومِ المواطنةِ الكاملةِ في مُجتَمَعاتِنا، والتخلِّي عن الاستخدام الإقصائيِّ لمصطلح «الأقليَّاتِ» الذي يَحمِلُ في طيَّاتِه الإحساسَ بالعُزْلَةِ والدُّونيَّة، ويُمهِّدُ لِبُذُورِ الفِتَنِ

والشِّقاقِ، ويُصادِرُ على استحقاقاتِ وحُقُوقِ بعض المُواطِنين الدِّينيَّةِ والمَدَنيَّةِ، ويُؤدِّي إلى مُمارسةِ التمييز ضِدَّهُم.

- أنَّ العلاقةَ بينَ الشَّرْقِ والغَرْبِ هي ضَرُورةٌ قُصوَى لكِلَيْهما، لا يُمكِنُ الاستعاضةُ عنها أو تَجاهُلُها، ليَغتَنِيَ كلاهما من الحَضارةِ الأُخرى عَبْرَ التَّبادُلِ وحوارِ الثقافاتِ؛ فبإمكانِ الغَرْبِ أن يَجِدَ في حَضارةِ الشرقِ ما يُعالِجُ به بعضَ أمراضِه الرُّوحيَّةِ والدِّينيَّةِ التي نتَجَتْ عن طُغيانِ الجانبِ الماديِّ، كما بإمكانِ الشرق أن يَجِدَ في حضارةِ الغربِ كثيرًا ممَّا يُساعِدُ على انتِشالِه من حالاتِ الضعفِ والفُرقةِ والصِّراعِ والتَّراجُعِ العلميِّ والتقنيِّ والثقافيِّ. ومن المهمِّ التأكيدُ على ضَرُورةِ الانتباهِ للفَوَارقِ الدِّينيَّةِ والثقافيَّةِ والتاريخيَّةِ التي تَدخُلُ عُنْصرًا أساسيًّا في تكوينِ شخصيَّةِ الإنسانِ الشرقيِّ، وثقافتِه وحضارتِه، والتأكيدُ على أهميَّةِ العمَلِ على تَرسِيخِ الحقوقِ الإنسانيَّةِ العامَّةِ المُشتَرَكةِ، بما يُسهِمُ في ضَمانِ حياةٍ كريمةٍ لجميعِ البَشَرِ في الشَّرْقِ والغَرْبِ بعيدًا عن سياسةِ الكَيْلِ بمِكيالَيْنِ.

- أنَّ الاعترافَ بحَقِّ المرأةِ في التعليمِ والعملِ ومُمارَسةِ حُقُوقِها السياسيَّةِ هو ضَرُورةٌ مُلِحَّةٌ، وكذلك وجوبُ العملِ على تحريرِها من الضُّغُوطِ التاريخيَّةِ والاجتماعيَّةِ المُنافِيةِ لثَوابِتِ عَقيدتِها وكَرامتِها، ويَجِبُ حِمايتُها أيضًا من الاستغلالِ الجنسيِّ ومن مُعامَلتِها كسِلعةٍ أو كأداةٍ للتمتُّعِ والتربُّحِ؛ لذا يجبُ وقفُ كل المُمارَساتِ اللاإنسانية والعادات المُبتذِلة لكَرامةِ المرأةِ، والعمَلُ على تعديلِ التشريعاتِ التي تَحُولُ دُونَ حُصُولِ النساءِ على كامِلِ حُقوقِهنَّ.

- أنَّ حُقوقَ الأطفالِ الأساسيَّةَ في التنشئةِ الأسريَّةِ، والتغذيةِ والتعليمِ والرعايةِ، واجبٌ على الأسرةِ والمجتمعِ، وينبغي أن تُوفَّرَ وأن يُدافَعَ عنها، وألَّا يُحرَمَ منها أيُّ طفلٍ في أيِّ مكانٍ، وأن تُدانَ أيَّةُ مُمارسةٍ تَنالُ من كَرامتِهم أو تُخِلُّ بحُقُوقِهم، وكذلك ضرورةُ الانتباهِ إلى ما يَتعرَّضُون له من مَخاطِرَ –

خاصَّةً في البيئةِ الرقميَّة – وتجريمِ المُتاجرةِ بطفولتهم البريئةِ، أو انتهاكها بأيِّ صُورةٍ من الصُّوَرِ.

- أنَّ حمايةَ حُقوقِ المُسنِّين والضُّعفَاءِ وذَوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ والمُستَضعَفِينَ ضرورةٌ دِينيَّةٌ ومُجتمعيَّةٌ يَجِبُ العمَلُ على تَوفيرِها وحِمايتِها بتشريعاتٍ حازمةٍ وبتطبيقِ المواثيقِ الدوليَّة الخاصَّةِ بهم.

وفي سبيلِ ذلك، ومن خلالِ التعاون المُشترَكِ بين الكنيسةِ الكاثوليكيَّةِ والأزهرِ الشريفِ، نُعلِنُ ونَتَعهَّدُ أنَّنا سنعملُ على إيصالِ هذه الوثيقةِ إلى صُنَّاعِ القرارِ العالميِّ، والقياداتِ المؤثِّرةِ ورجالِ الدِّين في العالمِ، والمُنظَّماتِ الإقليميَّةِ والدوليَّةِ المَعنِيَّةِ، ومُنظَّماتِ المُجتَمَعِ المدنيِّ، والمؤسساتِ الدينيَّة وقادَةِ الفِكْرِ والرَّأيِ، وأن نَسْعَى لنشرِ ما جاءَ بها من مَبادِئَ على كافَّةِ المُستوياتِ الإقليميَّةِ والدوليَّةِ، وأن نَدعُوَ إلى تَرجمتِها إلى سِياساتٍ وقَراراتٍ ونُصوصٍ تشريعيَّةٍ، ومَناهجَ تعليميَّةٍ ومَوادَّ إعلاميَّةٍ.

كما نُطالِبُ بأن تُصبِحَ هذه الوثيقةُ مَوضِعَ بحثٍ وتأمُّلٍ في جميعِ المَدارسِ والجامعاتِ والمَعاهدِ التعليميَّةِ والتربويَّةِ؛ لتُساعِدَ على خَلْقِ أجيالٍ جديدةٍ تحملُ الخَيْرَ والسَّلامَ، وتُدافِعُ عن حقِّ المَقهُورِين والمَظلُومِين والبُؤَساءِ في كُلِّ مكانٍ.

ختامًا:

لتكن هذه الوثيقةُ دعوةً للمُصالَحة والتَّآخِي بين جميعِ المُؤمِنين بالأديانِ، بل بين المُؤمِنين وغيرِ المُؤمِنين، وكلِّ الأشخاصِ ذَوِي الإرادةِ الصالحةِ؛

لتَكُنْ وثيقتُنا نِداءً لكلِّ ضَمِيرٍ حيٍّ يَنبذُ العُنْفَ البَغِيضَ والتطرُّفَ الأعمى، ولِكُلِّ مُحِبٍّ لمَبادِئِ التسامُحِ والإخاءِ التي تدعو لها الأديانُ وتُشجِّعُ عليها؛

لتكن وثيقتُنا شِهادةً لعَظَمةِ الإيمانِ باللهِ الذي يُوحِّدُ القُلوبَ المُتفرِّقةَ ويَسمُو بالإنسانِ؛

لتكن رمزًا للعِناقِ بين الشَّرْقِ والغَرْبِ، والشمالِ والجنوبِ، وبين كُلِّ مَن يُؤمِنُ بأنَّ الله خَلَقَنا لنَتعارَفَ ونَتعاوَنَ ونَتَعايَشَ كإخوةٍ مُتَحابِّين.

هذا ما نَأمُلُه ونسعى إلى تحقيقِه؛ بُغيةَ الوُصولِ إلى سلامٍ عالميٍّ يَنعمُ به الجميعُ في هذه الحياةِ.

أبو ظبي، ٤ فبراير ٢٠١٩م

شيخ الأزهر الشريف	قداسة البابا
أحمد الطيب	فرنسيس

الفصل الأول
الأخوة الإنسانية وحرمة النفس

الفصل الأول

الأخوة الإنسانية وحرمة النفس

لقد جاء في الوثيقة ما نصه: " باسمِ الله الَّذي خَلَقَ البَشَرَ جميعًا مُتَساوِين في الحُقُوقِ والواجباتِ والكَرامةِ، ودَعاهُم للعَيْشِ كإخوةٍ فيما بَيْنَهم ليُعَمِّروا الأرضَ، ويَنشُروا فيها قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ، باسمِ النفسِ البَشَريَّةِ الطَّاهِرةِ التي حَرَّمَ اللهُ إزهاقَها، وأخبَرَ أنَّه مَن جَنَى على نَفْسٍ واحدةٍ فكأنَّه جَنَى على البَشَريَّةِ جَمْعاءَ، ومَنْ أَحْيَا نَفْسًا واحدةً فكَأنَّما أَحْيَا الناسَ جميعًا ... باسمِ "الأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ" التي تَجمَعُ البَشَرَ جميعًا، وتُوحِّدُهم وتُسوِّي بينَهم، باسم تلك الأُخُوَّةِ التي أرهَقَتْها سِياساتُ التَّعَصُّبِ والتَّفرِقةِ، التي تَعبَثُ بمَصائِرِ الشُّعُوبِ ومُقَدَّراتِهم، وأَنظِمةُ التَّرَبُّحِ الأَعْمَى، والتَّوَجُّهاتُ الأيدلوجيَّةِ البَغِيضةِ". كما أكدت الوثيقة أيضًا على: "أنَّ العدلَ القائمَ على الرحمةِ هو السبيلُ الواجبُ اتِّباعُه للوُصولِ إلى حياةٍ كريمةٍ، يحقُّ لكُلِّ إنسانٍ أن يَحْيَا في كَنَفِه". وأنَّ الإرهابَ البَغِيضَ الذي يُهدِّدُ أمنَ الناسِ، سَواءٌ في الشَّرْقِ أو الغَرْبِ، وفي الشَّمالِ والجَنوبِ، ويُلاحِقُهم بالفَزَعِ والرُّعْبِ وتَرَقُّبِ الأَسْوَأ، ليس نِتاجًا للدِّين – حتى وإنْ رَفَعَ الإرهابيُّون لافتاتِه ولَبِسُوا شاراتِه – بل هو نتيجةٌ لتَراكُمات الفُهُومِ الخاطئةِ لنُصُوصِ الأديانِ ... "[1].

ويتضح الجانب الأخلاقي في هذه النصوص من وثيقة الأخوة الإنسانية بشي من التفصيل من خلال المباحث الآتية:

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٤-٢- ٢٠١٩م، ص١-٢.

المبحث الأول

مفهوم الأخوة الإنسانية وحرمة النفس

أولًا: مفهوم الأخوة الإنسانية وحرمة النفس في المدلول اللغوي.

وردت كلمة "أخ" في المعاجم اللغوية: " أخو بفتح الخاء، لأنه جمع على آخاء، مثل آباء ويجمع أيضًا على إخوة بكسر الهمزة وضمها أيضًا، والأخ هو المشارك آخر في الولادة أو الرضاعة، أو مشارك لغيره في الدين، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في مودة، وغير ذلك" (١).

وتطلق الأخوة في اللغة ويراد بها: " النسب القريب، ويسمى الواحد "الأخ"، والاثنان "أخوان" والجمع "إخوة" (٢). ومنها: "النسب البعيد الذي يراد به الأخوة في الأصل الأول إلى أبي البشر عليه السلام، أو النسب إلى قوم، كما في قوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (الأعراف: ٦٥) أي: أخاهم لأنه من قومهم"(٣).

وتطلق الأخوة أيضًا على: "الصديق والصاحب، ومنها آصرة الدين كقوله تعالى: ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (التوبة:١١)، ومنها آصرة العمل، أو الاتفاق في صفة خير أو شر، فيقال: إخوان العمل وإخوان العزاء، وأخو كربة، أي: صاحب كربة " (٤). كما تطلق ويراد بها:" وحدة القصد، قال بعض النحويين:

---

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص١٩. وينظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٠م، ص١٣. وينظر: أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، نشر دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ج١٤، ص٢٢-٢٤. وينظر: محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، نشر المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ، ج٦، ص٢٢٦٤-٢٢٦٥).

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة "أخا"، ج١٤، ص٢٢-٢٤.

(٣) المصدر نفسه: مادة "أخا"، ج١٤، ص٢٢-٢٤.

(٤) المصدر نفسه: مادة "أخا"، ج١٤، ص٢٢-٢٤. وينظر: محمد حسين أبو الفتوح: معجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف، في صحيح البخاري، نشر مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج ١، مادة ٢٦، أخو، ص١٠٩-١١٦.

"سمي الأخ أخًا؛ لأن قصده قصد أخيه، ويقال: "وآخى الرجل مؤاخاة وإخاء ووخاء، و يقال: "ولقد تآخيت وآخيت ... وتآخيت أخًا، أي: اتخذت أخًا "[١].

ومما ورد في اللغة من معنى كلمة الأخوة، ولها دلالة تفيد سياق البحث: "الأخية والآخية، واحدة الأواخي: عود يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تشد إليه الدابة، وقيل: حبل يدفن في الأرض ويبرز طرفه فيشد به"[٢].

وعلى هذا فإن للأخوة في اللغة معان عدة؛ من أهمها: "النسب القريب، والنسب البعيد، والصداقة والصحبة والملازمة، وآصرة الدين، وآصرة العمل، والاشتراك في صفة من الصفات حسنة كانت أم سيئة، والاشتراك في القصد، وكذلك تدل بعض الألفاظ التي تشترك معها في الاشتقاق على معنى الآصرة أو الركيزة أو الرابط القوي الذي يشد إليه.

وأما لفظ الإنسُ فيطلق في المعاجم العربية على: "البشر، الواحد إنسي، ويقال أناس كثير، وقال تعالى:﴿ وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ (الفرقان:٤٩)، الأناسيُ جماع، الواحد إنسي، وإن شئت جعلته إنسانًا ثم جمعته أناسي فتكون الياء عوضًا من النون [٣]. والإنسان آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام [٤].

وأما النَّفْسُ فتطلق في اللغة على: "الروح، وهي في كلام العرب على ضربين أحدهما: قولك خرجتْ نفسُ فلان؛ أيْ: روحُهُ، وفي نفسِ فلانٍ أنْ يفعلَ كذا؛ أي: في روعه. والآخر: جُملةُ الشَّيءِ وحقيقتُهُ، تقول: قتلَ فلانٌ نفسَهُ، وأهلَكَ نفسَهُ؛

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة "أخا"، ج١٤، ص٢٢-٢٤.
(٢) المصدر نفسه: مادة "أخا"، ج١٤، ص٢٢-٢٤.
(٣) المصدر نفسه: مادة "أنس"، ج١، ص٢٣٣.
(٤) المصدر نفسه: مادة "أنس"، ج١، ص٢٣١.

أيْ: أوقعَ الإهلاكَ بذاتهِ كلِّها. وحقيقته، والجمع من كل ذلك أنفسُ ونفُوس، والنفس الروح" (١).

كذلك أيضًا تطلق: "النَّفْسُ على ما يكون به التمييز، والنفس الدم، والنفس الأخ، أما النفس الروح وما يكون بها التمييز فشاهدها قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر:٤٢)، فالنفس الأولى هي التي تزول بزوال الحياة، والنفس الثانية التي تزول بزوال العقل، وإنما سمي الدم نفسًا لأن النفس تخرج بخروجه، وأما النفس بمعنى الأخ فشاهده قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ (النور:٦١)، والنفس يعبر بها عن الإنسان جميعه" (٢).

إذن النَّفْسُ: الرُّوحُ، والنَّفْسُ: ما يكونُ به التمييز، والنَّفس: الدَّمُ، والنَّفسُ: الأخُ، وعلى هذا فإن النفس التي تكون بها الحياة، وهذا المعنى هو الأقرب إلى بحثنا، حيث الحديث عن حرمة النفس.

ثانيًا: مفهوم الأخوة الإنسانية وحرمة النفس في المدلول الاصطلاحي

الأُخُوَّة أو الإخَاء: "رابطةٌ متينة موثقة، تجمع بين طرفين أو أكثر، تتصف بالدوام والملازمة، وتنشأ بسبب النسب أو الرضاع، أو الدِّين، أو الاشتراك في القبيلة أو الوطن، أو المقاصد والأعمال، ونحو ذلك من الأسباب" (٣). وكذلك يطلق

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة "أنس"، ج١٤، ص٢٣٣.
(٢) المصدر نفسه: مادة "أنس"، ج١٤، ص٢٣٤.
(٣) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ص١٩. وينظر: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٠م، ص١٣. وينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٢٢-٢٤. وينظر: محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، نشر المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ، ج٦، ص٢٢٦٤-٢٢٦٥).

على المشارك لغيره أيضًا بما تقتضيه الحاجة: "من التناصر والتراحم والتكافل، والتعاون والمناصحة، التي لا تقاربها رابطة معها كانت وشائج القربى متينة" [١].

والإنسان: "هو عبارة عن هذه البنية المخصوصة المحسوسة وعن هذا الهيكل المجسم المحسوس"[٢]. والإنسانية: "جملة الصفات التي تميز الإنسان، أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات" [٣].

ويتضح لنا من خلال التعريفات السابقة لمفهوم الأخوة الإنسانية، أن هذا المصطلح ذو مضمون واسع وشامل، لا يقتصر على صلة قرابة معينة، ولكنه مفهوم يربط بين كافة البشر؛ فهو يطلق على الترابط والتواصل القوي بين البشر، حيث إن الله تعالى خلق البشر لعبادته ثم لعمارة الأرض، وعمارة الأرض لا تتحقق إلا من روابط الأخوة المشتملة على نشر السلام والمودة في جميع بقاع الأرض، ولذلك فإن الترابط بين البشر جميعًا في إطار من الود والمحبة هو خُلق عظيم، فهو مفهوم يندرج تحت سياق اجتماعي وإنساني؛ حيث يرتبط البشر من خلاله بعلاقة مميزة يكون قوامها الرحمة والإحسان والاحترام، ولقد أشار الدين الإسلامي إلى أن جميع البشر سواسية ولا اختلاف بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح؛ حيث يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣).

---

(١) محمود محمد بابللي: معنى الأخوة في الإسلام ومقاصده، سلسلة دعوة الحق، العدد ٣٨، السنة الرابعة، جمادى الأولى، نشر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص١٤.

(٢) محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة، د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية، د. جورج زيناتي، نشر مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، مادة الإنسان، ج١، ص٢٧٨.

(٣) د. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي ، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص٢٥.

والإخوة الإنسانية رباط متين منعقد لا ينحل، وعروة وثقى لا تنفصم، وصلة أبدية لازمة مستمرة لا تنقطع، مبنية على المشاركة في النسب أو الرضاع، أو الدِّين، أو الاشتراك في القبيلة أو الوطن، أو المقاصد والأعمال، ونحو ذلك من الأسباب التي تؤلف بين كافة البشرية وتنتظمهم حيثما وجدوا، فأساسُ الأخوة الإنسانية الإسلام –السلام– وجوهرها هو الإيمان، وحقيقتها الارتباط بهذا الجوهر وذلك الأساس، وآفاقها رحبة؛ تمتد مع أحقاب الزمان فتشملُ جميع البشرية عبر العصور، وتمتد مع آفاق المكان وتتخطى جميع الحدود، فتنتظم كافة البشرية على وجه البسيطة.

وهذا ما أكدته وثيقة الأخوة الإنسانية" فقد جاء فيها: "باسمِ «الأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ» التي تَجمَعُ البَشَرَ جميعًا، وتُوحِّدُهم وتُسوِّي بينَهم". كما أكدت على أن:" القناعةُ الراسخةُ بأنَّ التعاليمَ الصحيحةَ للأديانِ تَدعُو إلى التمسُّك بقِيَمِ السلام وإعلاءِ قِيَمِ التعارُفِ المُتبادَلِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المشترَكِ" (١).

وتعرف النفس بأنها: "الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، والروح الحيوانية: هي جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوءه من ظاهر البدن وباطنه، وأما وقت النوم فينقطع ضوءه عن ظاهره دون باطنه، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد لأن الموت انقطاع كلي، والنوم انقطاع خاص، فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب: إن غلب ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه فهو اليقظة، وإن انقطع ضوءها عن ظاهره فقط فالنوم، أو بالكلية فالموت" (٢).

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

(٢)عبد الرؤوف بن المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، ط١، نشر عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، مادة الأخ، ص٣٢٧- ٣٢٨ . وينظر: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م، ص٢٦٢.

واسم النفس يقع بالاشتراك على معان كثيرة: " منها الجسد، والدم، وشخص الإنسان، وذات الشيء، والعظمة، والعزة، والهمة، والأنفة، والإرادة، ووصف النفس"[(١)].

وتظهر الأخوة الإنسانية وحرمة النفس في أبهى صورها من خلال الخير والمحبة المنتشرة بين جميع البشر؛ حيث إن الإسلام قد أمر بذلك لإعلاء مبدأ السلام القائم على حب الخير للغير، وفي ذلك قال الرسول ﷺ: "أَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا" [(٢)]. وبذلك فإن نشر الخير والحب والسلام، وعدم الاعتداء على النفس البشرية هي من سمات الديانات السماوية.

(١) د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ج٢، ص٤٨١.

(٢) أبو عبد الله أحمد بن حنبل: مسند أحمد، نشر بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ج٢ ، حديث رقم ٨٠٨١، ص٣١٠ . محمد بن عيسي بن سورة: جامع الترمذي، نشر بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، د.ت، ج٤، حديث رقم٢٣٠٥، ص٥٥١. من حديث أبي هريرة مرفوعا، قال الترمذي: حديث غريب.

المبحث الثاني

الأخوة الإنسانية وحرمة النفس في الإنجيل والقرآن الكريم

هناك عدة أدلة في الإنجيل والقرآن الكريم تدل دلالة واضحة على الأخوة الإنسانية وحرمة النفس، منها ما يلي:

أولًا: أدلة الإنجيل.

ذكر في الإنجيل عدة أدلة تدل دلالة واضحة على الأخوة الإنسانية وحرمة النفس، والحث على عدم الاعتداء عليها، فقد تحدث الإنجيل عن علاقة الإنسان مع أفراد المجتمع، حيث نظّم علاقته: "مع والديه، وأقاربه، وزوجته، وأبنائه، وغير ذلك" (١). فقد جاء فيه: "أنتم جميعًا إخوة"(٢). وجاء فيه أيضًا: "سَلاَمٌ سَلاَمٌ لِلْبَعِيدِ وَلِلْقَرِيبِ" (٣).

لقد حث الإنجيل على عمل الخير والعدل والسلام، لأن من فعل ذلك سيجد طمأنينة دائمة: "وَيَكُونُ صُنْعُ الْعَدْلِ سَلاَمًا، وَعَمَلُ الْعَدْلِ سُكُونًا وَطُمَأْنِينَةً إِلَى الأَبَدِ"(٤). وجاء فيه: "لاَحِظِ الْكَامِلَ وَانْظُرِ الْمُسْتَقِيمَ، فَإِنَّ الْعَقِبَ لإِنْسَانِ السَّلاَمَةِ"(٥)."وَرَبُّ السَّلاَمِ نَفْسُهُ يُعْطِيكُمُ السَّلاَمَ دَائِمًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ الرَّبُّ مَعَ جَمِيعِكُمْ"(٦).

بل إن من عاش بالسلام ونشر السلام والأمن والأمان، فإن الله تعالى سيكون معه ناصرًا له: "عِيشُوا بِالسَّلاَمِ، وَإِلهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلاَمِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ" (٧). وجاء

(١) د. فايز فارس: علم الأخلاق المسيحية، نشر دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ج١، ص٦١
(٢) إنجيل متى: ٢٣، ٨.
(٣) الكتاب المقدس ترجمة العالم الجديد: مترجم عن الطبعة الإنكليزية المنقحة، الصادرة سنة ١٩٨٤م للكتاب المقدس، نشر اليابان، سفر إشعيا: ٥٧، ١٩.
(٤) سفر إشعياء: ٣٢، ١٧.
(٥) سفر المزامير: ٣٧، ٣٧.
(٦) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكي: ٣،١٦.
(٧) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: ١٣، ١١.

أيضًا: "حِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا" (١). بل إن الإنجيل أمر بأنه من يدخل البيت أن يلقي السلام: "وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ"" (٢). وجاء أيضًا: "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ" (٣). وجاء فيه أيضًا: " سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ" (٤).

لقد حذر الإنجيل من الشر والمكر، وحبب في صنع الخير والسلام، وذلك لأن الله مطلع على من يفعل الخير أو الشر: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَرَى أَيَّامًا صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ، لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَى الأَبْرَارِ، وَأُذْنَيْهِ إِلَى طَلِبَتِهِمْ، وَلكِنَّ وَجْهَ الرَّبِّ ضِدُّ فَاعِلِي الشَّرِّ" (٥). وأمر الإنجيل بكثرة الخير والرحمة والسلام: "لِتَكْثُرْ لَكُمُ الرَّحْمَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْمَحَبَّةُ" (٦). وقد جاء فيه أيضًا: وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي" (٧).

بل إن الإنجيل يبين أن من فعل الخير والسلام يكون له السكن والمأوى والأمن والأمان داخل البلاد، وأن من فعل الشر والقتل، فليس له سكن ولا مأوى: "طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لأَنَّ خَارِجًا الْكِلاَبَ وَالسَّحَرَةَ وَالزُّنَاةَ وَالْقَتَلَةَ وَعَبَدَةَ الأَوْثَانِ، وَكُلَّ

(١) سفر المزامير: ٣٤، ١٤.
(٢) إنجيل متى: ١٠، ١٣. إنجيل لوقا: ١٠، ٥- ٦.
(٣) إنجيل لوقا: ٢، ١٤.
(٤) إنجيل يوحنا: ١٤، ٢٧.
(٥) رسالة بطرس الرسول الأولى: ٣، ١٠-١٢.
(٦) رسالة يهوذا: ١، ٢.
(٧) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: ٢١، ٧-٨.

مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا" [١]. وقد جاء فيه أيضًا: "أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، وَيَتَلَذَّذُونَ فِي كَثْرَةِ السَّلاَمَةِ" [٢]."حِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا" [٣].

لقد حرم الإنجيل القتل وسفك الدماء والإرهاب، فقد نقل عن عيسي عليه السلام: " قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمَجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ"[٤]. بل إن الإنجيل أمر بالسلام بين الناس: "إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ"[٥]. وجاء أيضًا: "عِيشُوا بِالسَّلاَمِ" [٦]. بل إن: "لُقْمَةٌ يَابِسَةٌ وَمَعَهَا سَلاَمَةٌ، خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَلآنٍ ذَبَائِحَ مَعَ خِصَامٍ" [٧].

إذن فالإنجيل يدعو إلى الأمن والسلام وليس إلى القتل وسفك الدماء، أما من خوف وروع وأرهب الناس فهو غير فاهم لنُصُوصِ الأديانِ، وهذا ما أكدته وثيقة الأخوة الإنسانية فقد أكدت: " أنَّ الإرهابَ البَغِيضَ الذي يُهدِّدُ أمنَ الناسِ، سَواءٌ في الشَّرْقِ أو الغَرْبِ، وفي الشَّمالِ والجَنوبِ، ويُلاحِقُهم بالفَزَعِ والرُّعْبِ وتَرَقُّبِ الأَسْوَأِ، ليس نِتاجًا للدِّين – حتى وإنْ رَفَعَ الإرهابيُّون لافتاتِه ولَبِسُوا شاراتِه – بل هو نتيجةٌ لتَراكُمات الفُهُومِ الخاطئةِ لنُصُوصِ الأديانِ، ويجب إدانةُ ذلك التَّطرُّفِ بكُلِّ أشكالِه

(١) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: ٢٢، ١٤-١٥.
(٢) سفر المزامير: ٣٧، ١١.
(٣) سفر المزامير: ٣٤، ١٤.
(٤) إنجيل متى: ٢١،٥-٢٢.
(٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: ١٢، ١٨.
(٦) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: ١٣،١١.
(٧) سفر الأمثال: ١٧،١.

وصُوَرِه" [1]. كذلك حق الكرامة ضمنه الإنجيل فقد جاء في الكتاب المقدس عن حق الإنسان: ((جَعَلْتَهُ أَدْنَى قَلِيلاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلَى حِينٍ، ثُمَّ كَلَّلْتَهُ بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ"[2]

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم.

تؤكد آيات القرآن الكريم على أن البشر جميعًا أخوة في الإنسانية، كما تؤكد أيضًا على حرمة النفس الإنسانية، وأنه ليس لمخلوق بشري على آخر، أن يتعالى أو يتكبر أو يدعي أنه أفضل منه، بل يجب عليه أن يتعامل معه كأخ في الإنسانية يحترم حقوقه ويحافظ عليها، طالما لم يعتد عليه، وطالما عاش وتعامل معه في سلم وسلام وأمن وأمان، فأصلهم واحد من نفس واحدة مهما اختلفت ألوانهم، ومعتقداتهم، و أجناسهم، وأوطانهم فهم أخوة من أصل واحد، وهذا الأمر لا خيار فيه للإنسان، فليس من حق أي أحد أن يعطي لنفسه أفضلية على أي مخلوق آخر؛ لأننا أخوة في الإنسانية، وأصلنا ومكوناتنا النفسية واحدة بمعنى أن البشر جميعًا خلقوا من نفس واحدة، كما في قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١). وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣).

يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب": " في القرآن حقائق ثلاث يترتب بعضها على بعض، تتعلق بنظرة الإسلام للبشرية، وتحديده لنوع العلاقة التي يجب على المسلمين أن يتمسكوا بها في معاملاتهم مع غيرهم: الحقيقة

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.
(٢) سفر المزامير: ٥،٧.

الأولى: "هي أن مشيئة الله في خلقه قضت أن يخلقهم مختلفين في الدين والعقيدة واللون واللغة والجنس، وأن هذا الاختلاف لا يتبدل ولا يزول " (١).

الحقيقة الثانية: وهي المترتبة ترتيبًا منطقيًا على ذلك؛ أنه لا مفر – والحالة هذه – من أن تكون العلاقة بين هذه القبائل والشعوب هي علاقة "التعارف"، التي تعني: التعاون المتبادل، وقد نص القرآن على هذه العلاقة وعبر عنها بلفظة "التعارف" في الآية ١٣ من سورة الحجرات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣).

والعلاقة بين هاتين الحقيقتين علاقة تلازم منطقي صارم؛ لأنه لا يتصور أن يخلق الله الناس مختلفين في الأديان، ويسمح لهم – في الوقت نفسه – بالاقتتال بينهم أو إشعال الحروب من أجل فرض دين معين وإكراه الناس على الدخول فيه، فهذا تناقض بين حرية التعدد في المعتقد، ومصادرة هذا الحق في حالة القتال الذي ينتهي إلى حمل الناس على عقيدة واحدة، وهنا تظهر حقيقة تاريخية هي أن المسلمين لم يشهروا السيوف في وجوه غيرهم بسبب معتقداتهم أو أديانهم، اللهم إلا إذا تحول الغير إلى عدو يقاتل المسلمين، فهاهنا القتال بسبب الاعتداء وليس بسبب الدين" (٢).

الحقيقة الثالثة: وهي التي ترتبط بالحقيقتين السابقتين ارتباط النتيجة بالمقدمات؛ فهي حرية الاعتقاد، وتكفل الإسلام بحمايتها، ولعلي أذكر بأمر تحفظونه عن ظهر قلب حين أذكركم بالآيتين: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ

(١) أ. د. أحمد الطيب: السلام أولًا، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص١٤-١٥.
(٢) المصدر نفسه: ص١٥-١٦.

مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة:٢٥٦). ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ (الكهف: ٢٩)"[١]. وحديث النبي محمد ﷺ: "مَنْ كَرِهَ الْإِسْلَامَ مِنْ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ" [٢].

والقرآن الكريم يؤكد أن الله سبحانه وتعالى ما أرسل محمدًا إلا رحمة للعالمين، وكلمة "العالمين" أوسع بكثير من كلمة المسلمين، بل هي في الفلسفة الإسلامية أعم من عالم الإنسان، حيث تشمل عالم الحيوان والنبات والجماد، جاء في القرآن الكريم خطابًا لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) " [٣]. وقال النبي محمد ﷺ مخاطبًا الناس جميعًا: " إنما أنا رحمةٌ مهداةٌ " [٤].

ولم تقتصر توجيهات القرآن في ربط الإسلام بالسلام على أصل الرحمة، وترك المسلمين وشأنهم يتحلون بهذا الخُلُقِ الإنساني الرفيع أو يتخلون عنه مضطرين أو مختارين: "وإنما كثف من لفظ "السلام" ومفهومه في القرآن بشكل لافت للنظر، حتى أصبح الإسلام والسلام وجهين لعملة واحدة إن صح هذا التعبير، ويكفي للتدليل العاجل على ذلك أن كلمة " السلام" بمشتقاتها وردت في القرآن مائة وأربعين مرة مقابل كلمة "الحرب" التي وردت بمشتقاتها "٦" مرات فقط، ومن هنا لم يكن مستغربًا أن يقرر الإسلام مبدأ "السلام" كأصل في معاملة

(١) أ. د. أحمد الطيب: السلام أولًا، ص١٦.
(٢) أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني: المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ه، كتاب الجزية، حديث رقم ١٠١٠٠، ج٦، ص٨٩. عن ابن جريج فذكره .
(٣) أ. د. أحمد الطيب: السلام أولًا، ص١٧.
(٤) أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق مجموعة من الباحثين المصريين، نشر دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م،٣٥/١، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وقال الحاكم حديث صحيح على شرطهما. وينظر: وكيع بن الجراح: نسخة وكيع عن الأعمش، حققها، عبد الرحمن الفريوائي، نشر الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، (٢٩).

المسلمين وعلاقاتهم بغير المسلمين، وأن فلسفة القرآن لا مكان فيها لعلاقات الصراع والقتال مع المسالمين من غير المسلمين" (١).

ولكن كيف ننزل بمفهوم السلام في الأديان إلى هذا الواقع المعقد؟.

والإجابة يبينها لنا "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب": "لابد أولًا من صنع السلام بين رجال الأديان أنفسهم، وليس بين رجال الدين الواحد، وهذه مشكلة تحتاج إلى حوار باحث عن المشتركات بين الأديان، وما أكثرها وأهمها، فما لم يتصالح رجال الأديان فيما بينهم فإنه لا أمل في قدراتهم على الدعوة للسلام والتبشير به بين الناس؛ إذْ فاقد الشيء لا يعطيه" (٢).

ولأن الإنسان مخلوق مكون من نفس وجسد فإن جميع البشر أصلهم الجسدي واحد أيضًا لأننا جميعًا أبناء آدم وقد خُلِقَ آدم من تراب يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (آل عمران:٥٩). وبما أن جميع البشر من نسل آدم عليه السلام، فهم سواسية ومكوناتهم البنائية واحدة، مهما كان التباين في شكل وأوصاف الجسد بين طويل وقصير وأسود وأبيض أو أصفر أو غير ذلك، فكلها صفات لا دخل لنا فيها.

ومن الأدلة أيضًا التي تؤكد أن البشر جميعًا أخوة في الإنسانية، قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤). فالمسلم مطالب بأن يضبط نفسه، ويعلو عن مستوى العاطفة الطبيعية، إلى مستوى الإنسانية؛ فيقابل السيئة لا بالعفو فحسب؛ بل بالحسنة، وإسداء المعروف .

(١) أ. د. أحمد الطيب: السلام أولًا، ص١٩.
(٢) المصدر نفسه: ص١٩.

كذلك على الإنسانية التعاون والإحسان للغير، فكل صور البر والتعاون وأعمال الخير، هي من المعاني الإنسانية النبيلة، التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، كما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (المائدة: ٢). وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠).

والعقل يعرف الخير من الشر، ويهدي إلى الفضائل وينفر من الرذائل، وإن كان يرجع الحكم في نهاية الأمر للشرع، فهو يميز الإنسان عن سائر الحيوانات، ويقود صاحبه إلى الخير، وإلى الغاية التي من أجلها خلق الله تعالى الإنسان .

إن الإنسان في أصل خلقه مكرم؛ لعموم قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٠). مسلمهم، وغير ذلك، فمن الناس من يرتقي بتكريمه أقصى الدرجات، ومنهم من يرتكس وينحط أدنى من درجة أخس الحيوانات والبهائم، بمدى التمسك بالإيمان، أو بالرغبة عنه، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ (التين:٤ – ٦).

إن تحقيق الإنسان لإنسانيته مرهون بتمسكه بالفضائل والقيم الحميدة، المنبثقة عن التصور الاعتقادي السليم، والبعد عن كل ما يتنافى مع كرامته؛ ليرتفع لأرقى صورة، وأسمى بداية، وأعظم وظيفة [1].

(١) د. آمنة محمد نصير: إنسانية الإنسان في الإسلام، نشر دار الشروق، القاهرة،ط١٩٨٩،١٠م، ص٤٨.

فكل ما أمر الله تعالى به من أخلاق كريمة، ومثل عليا، هو أساس في بناء مقومات صرح الإنسانية؛ والإيمان هو أساس لهذه المقومات، فعناصر الإيمان هي أسس المعاني الإنسانية ومقوماتها، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٧).

إن الإسلام لم يغفل في تنظيمه للعلاقات الإنسانية؛ بأن قصرها على العلاقة مع الله عز وجل، بل نظم العلاقات بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان.

وقد أولى الله تعالى أهمية كبيرة لتنظيم العلاقات الإنسانية، فنرى أن الله سبحانه وتعالى، قد نظم في كتابه الكريم هذه العلاقة على أساس المساواة، والمساواة أساس التعارف، كما أن التعارف يقتضي المودة والتعاون في كل أمور الحياة، والعدالة أساس العلاقات الإنسانية، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣). وكما في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥).

لذلك جاء القرآن الكريم ليقرر الكرامة الإنسانية، ويقرر العلاقات الإنسانية ليكون التآخي العام، بين البشرية جمعاء، فالإسلام جاء منظمًا لكل هذه العلاقات الإنسانية، مرتقيًا بها إلى أقصى غايات السمو النفسي والعقلي والروحي.

جاء في "وثيقة الأخوة الإنسانية: " باسمِ الله الَّذي خَلَقَ البَشَرَ جميعًا مُتَساوِين في الحُقُوقِ والواجباتِ والكَرامةِ، ودَعاهُم للعَيْشِ كإخوةٍ فيما بَيْنَهم ليُعَمِّروا الأرضَ، ويَنشُروا فيها قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ"[١].

فحق الكرامة للإنسان ضمنه الإسلام، ذلك الحق الذي هو من أهم الحقوق، وترتكز عليه جميع الحقوق والحريات، وقد جعله القرآن الكريم حقًا لصيقًا بكل شخص لابد من تمتعه به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء:٧٠). فحق التكريم: "حق يُرتبُ التزامًا إيجابيًا، مظهره القيام بأفعال يظهر فيها، إعزاز الفرد واحترامه، وإزالة كل ما من شأنه إذلاله وإهانته" [٢]. فلا يجوز لأحد انتهاك حرمة الإنسان بأي طريقة كانت، مهما كان عرقه، ولونه وجنسه وجاهه ومواهبه وثراؤه، فقد خلقه الله تعالى من أصل واحد، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ (الأعراف: ١٨٩).

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

(٢) د. منير حميد البياتي: النظام السياسي الإسلامي، نشر دار البشير، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، ص١٢١.

المبحث الثالث

الأخوة الإنسانية وحرمة النفس في وثيقة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان

جاء في الوثيقة أن الأخوةُ أو الإخاءُ: " رابطة متينة موثقة، تجمع بين طرفين أو أكثر، تتصف بالدوام والملازمة، وتنشأ بسبب النسب أو الرضاع، أو الدين، أو الاشتراك في القبيلة أو الوطن، أو البشرية، أو المقاصد والأعمال النبي بين الناس، ونحو ذلك من الأسباب "(١).

فالأُخوَّةُ الإِنْسَانِيَّةُ مفهوم إنساني، اجتماعي، يربط بين أفراد البشر، وجعل العلاقة بينهما تقوم على الاحترام والإحسان والرحمة، فالإنسان لا يختلف عن غيره إلَّا بالتقوى والعمل الصالح، كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣).

وهذا ما أكد عليه "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" عندما أراد أن يلفت أنظار الغرب إلى أمر لا يمكن تفاديه في أي تلاق بين الشرق والغرب، وهو أن الآية الكريمة توضح مبدأ الأخوة الإنسانية من التعارف والتعاون، وتبادل المنافع بين الناس، فيقول: " إن الآية القرآنية التي يرددها المسلمون رجالًا ونساءً وأطفالًا، صباح مساء، كما يرددها كثير من المثقفين والمفكرين الغربيين ويحفظون فحواها عن ظهر قلب من كثرة ما تليت على مسامعهم في محافل الحوار ومنتدياته، هذه الآية هي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣).

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

والمسلمون جميعًا – لا يشذ منهم أحد – يفهمون من الآية أن التعارف يعني التعاون وتبادل المنافع، وليس الصراع ولا الإقصاء ولا التسلط، وإذا كان لقاء التعارف البشري هو القانون الذي وضعه الله للعلاقات الدولية بين الناس، أفلا يعني هذا أن السلام بين الشعوب أمر يمكن تحقيقه إذا ما خلصت النوايا وصحت العزائم؟! "[1].

إنها رباط متين منعقد لا ينحل، وعروة وثقى لا تنفصم، وصلة أبدية لازمة مستمرة لا تنقطع، مبنية على المشاركة في الدين، والوطن، والإنسانية، تؤلف بين كافة الناس وتنظمهم حيثما وجدوا، إنها عقد وثيق؛ أطرافه جميع البشرية، ممتد مع أحقاب الزمان، فتشمل جميع العصور، وتمتد مع آفاق المكان، وتتخطى جميع الحدود، فتنتظم كافة الناس على وجه البسيطة.

يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان": "في الواقع؛ تشكل الأخوّة بُعدًا أساسيًّا للإنسان، الذي هو عبارة عن كائن علائقي، واليقين الحيّ لهذه العلائقيّة يحملنا لنرى ونعامل كل شخص، كأخت حقيقيّة، وأخ حقيقيّ، وبدون هذه العلائقيّة يصبح من المستحيل بناء مجتمع عادل وسلام صلب ودائم، من الأهميّة بمكان أن نذكّر فورًا بأننا نبدأ عادة بتعلم الأخوة في كنف العائلة، وخصوصًا بفضل أدوار أفرادها المسؤولة والمتكاملة، ولاسيما أدوار الأب والأم، فالعائلة هي مصدر كل أخوّة ولذلك فهي أيضًا الأساس والطريق الأولي للسلام، إذ إنها، وبحسب دعوتها، عليها أن تُعديَ العالم بمحبّتها" [2].

(١) أ. د. أحمد الطيب: الشرق والغرب والسلام المنشود، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص١٨.

(٢) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، تغلَّب على اللامبالاة واكسَب السلام، نشر موقع الفاتيكان، الأول من يناير/ كانون الثاني ٢٠١٦ م، ص٢.

وفي أنحاء كثيرة من العالم:" يستمرّ الأذى الكبير الذي يطال الحقوق البشريّة الأساسيّة، وخصوصًا حق الحياة وحق الحريّة الدينيّة، والظاهرة المأساويّة للإتجار بالكائنات البشريّة التي يستغل أشخاص يفتقرون لضمير حيّ حياتها ويأسها، تشكل مثالاً مقلقًا، وعلى الحروب القائمة على نزاعات مسلحة تُزاد تلك الحروب الأقل وضوحًا ولكنها بذلك لا تقل وحشيّة، وهي الحروب الاقتصادية والمالية تستخدم فيها أدوات مدمّرة للحياة والعائلات والأعمال" (١).

في هذا النص يوجه "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" رسالته للعالم أجمع بأن الحروب القائمة على نزاعات مسلحة هي حروب وحشيّة، تستخدم لتدمير الاقتصاد والمال، وتستخدم فيها أدوات مدمّرة للحياة والعائلات والأعمال، تتنافى مع الأخوة الإنسانية.

كذلك أيضًا نجد "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" يسعى سعيًا كثيرًا موفقًا، وجهدًا واضحًا في توطيد العلاقة بين الإسلام وغيره، مبينًا أن الإسلام دين مرتبط بالأديان السماوية لا ينفك عنها، يقول في كلمته في البرلمان الألماني: "إن هذا – كما تعلمون– دين مرتبط بالأديان السماوية برباط عضوي لا ينفصم؛ فنحن المسلمين نؤمن بأن كلًا من التوراة والإنجيل والقرآن هدى ونور للناس، وأن اللاحق منها مصدق للسابق، ولا يتم إيماننا بالقرآن ولا بمحمد إلا إذا آمنا بهذه الكتب السماوية وآمنا بموسى وعيسى، وبمن قبلهم من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، ونقرأ في القرآن قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ

(١)البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، تغلَّب على اللامبالاة واكسَب السلام، نشر موقع الفاتيكان، الأول من يناير/ كانون الثاني ٢٠١٦ م، ص٢.

وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(البقرة:٦٢) " [١].

إن الدين الإسلامي ليس دين قتال أو سيف، بل دين رحمة، ولقد أرسل الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وليس رحمة للمسلمين فقط، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء: ١٠٧).

ويؤكد "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" ويشير إلى أن الدين الإسلامي ليس دين قتال أو سيف فيقول: " وليس صحيحًا ما يقال عن الإسلام من أنه دين قتال أو دين سيف، فلفظة "السيف" هذه ليست من ألفاظ القرآن، ولم ترد فيه ولا مرة واحدة، ويؤمن المسلمون بأن الله أرسل محمدًا رحمة للعالمين، وليس رحمة للمسلمين فحسب؛ بل أرسله الله رحمة للإنسان والحيوان والجماد والنبات؛ جاء في القرآن: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء: ١٠٧). وقال النبي ﷺ عن نفسه: "أيها النَاس إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ" [٢]. ومن يفهم تعاليم هذا النبي خارج إطار الرحمة العامة والسلام العالمي فهو جاهل به وبتعاليمه، ومسيء إليه"[٣].

والإسلام لا يبيح قتال غير المسلم بسبب رفضه للإسلام أو لأي دين آخر؛ فالله كما خلق المؤمنين خلق غير المؤمنين أيضًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (التغابن: ٢)، وعقيدتنا أن من العبث الذي تتنزه

(١) أ. د. أحمد محمد أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، بتاريخ ٥ من جمادى الآخرة، ١٤٣٧هـ، ١٥ من مارس، ٢٠١٦م، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص٩.

(٢) أبي عبد محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق نجموعة من الباحثين، دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ج١، ص٣٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحاكم: " حديث صحيح على شرطهما".

(٣) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٩-١٠.

عنه الحكمة الإلهية أن يخلق الله غير المؤمنين ثم يأمر بقتلهم واستئصالهم، فهذا عبث لا يليق بحكمة البشر، فضلًا عن الحكمة الإلهية "[١].

لقد ضمن الإسلام للإنسان حقوقه الأساسية، وأول هذه الحقوق حق الحياة، وهو أن يتمتع الإنسان بالأمان والاطمئنان على حياته واحترامها وصيانتها وعدم الاعتداء عليها، وهو من أهم الحقوق الطبيعية الإنسانية، وهو منحة ربانية لكل نفس بشرية، ينبغي أن يصونها الفرد والمجتمع والدولة، وهو حق مكفول في جميع الشرائع السماوية ثم القوانين الوضعية، وما ذكرت قصة ابني آدم إلا للاعتبار والتذكير بحرمة قتل النفس بغير حق، وضرورة احترام النفس الإنسانية، وإن لكل نفس حقًا في الحياة، بل إن منع القتل هو مسؤولية الجميع أفرادًا أو جماعات .

ويستدل "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" على دعوة الإنسان للأخوة، وعلى العوائق التي تقف حاجزًا في تحقيقها، بقصة هابيل وقابيل – قايين– والِدَيْن مشترَكين، من آدم وحواء، ويبين هويتهما العميقة ودعوتهما هي بأن يكونا إخوة، وعن الأسباب العميقة التي دفعت "قايين" لعدم الاعتراف برابط الأخوة ورابط التبادل والشركة الذي كان يربطه بأخيه "هابيل" بنص من الكتاب المقدس: "أين أخوك"[٢].

ويبين "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" المسألة بشكل أوضح فيقول: " لنفهم بشكل أفضل دعوة الإنسان هذه للأخوّة، ولكي نتعرف بشكل أنسب على العوائق التي تقف حاجزًا في تحقيقها ونحدد الطرق لتخطيها، من الأهميّة بمكان أن تقودنا معرفة مشروع الله الذي يقدمه لنا الكتاب المقدس بشكل بارز بحسب رواية الخلق يتحدّر البشر جميعًا من والِدَين مشترَكين، آدم وحواء، "اللذين خلقهما الله "[٣]، اللذين وَلدا "قايين" و"هابيل"، نقرأ في قصة هذه "العائلة الأولى" بداية المجتمع وتطور العلاقات بين الأشخاص والشعوب، كان "هابيل" راعي غنم، و"قايين"

(١)أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني ص١٠-١١.
(٢) سفر التكوين: ٤، ٩.
(٣) تكوين: ١، ٢٦ .

يحرث الأرض، لكن هويتهما العميقة ودعوتهما هي بأن يكونا إخوة، بالرغم من اختلاف نشاطهما وثقافتهما وطريقة تعاطيهما مع الله والخليقة، لكن قتل "قايين" لأخيه "هابيل" يشهد مأساويًّا على الرفض الجذري للدعوة إلى الأخوّة" (١).

وقصتهما تظهر المهمة الصعبة التي دعي إليها جميع البشر، ليعيشوا متحدين ويعتنوا الواحد بالآخر، "فقايين"، بعدم قبوله لتفضيل الله "لهابيل" الذي قدم له الأفضل من بين غنمه، " نَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وتقدمتِهِ، وَإِلَى قَايِينَ وتقدمته لَمْ يَنْظُرْ "(٢). قتل هابيل حسدًا، بهذا الشكل رفض الاعتراف بأنه أخ وأن يتواصل بإيجابية معه، ويعيش أمام الله آخذًا على عاتقه مسؤولياته بالإعتناء بالآخر وحمايته، وعلى السؤال: "أين أخوك؟ "، الذي به سأل الله قايين، أن يتحمّل مسؤولية تصرّفه، أجاب: " لاَ أَعْلَمُ ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟" (٣). ومن ثمّ يخبرنا سفر التكوين أن: "قايين خرج من أمام الرب" (٤).

ثم يطرح "البابا فرنسيس" سؤالًا حول الأسباب العميقة التي دفعت "قايين" لعدم الاعتراف برابط الأخوة، فيقول: "علينا أن نتساءل حول الأسباب العميقة التي دفعت قايين لعدم الاعتراف برابط الأخوة ورابط التبادل والشركة الذي كان يربطه بأخيه هابيل، فالله نفسه قد أدان قايين ووبّخه على اقترانه بالشر: "الخطيئة رابضة عند بابك" (٥). لكن "قايين" رفض أن يتصدّى للشرّ و"وثب على هابيل أخيه فقتله"(٦). محتقرًا بذلك مشروع الله، وبهذا خان دعوته الأساسية وخان الأخوّة" (٧).

(١) سفر التكوين: ٤، ١- ١٦.
(٢) سفر التكوين ٤، ٣- ٥.
(٣) سفر التكوين: ٤، ٩.
(٤) سفر التكوين: ٤، ١٦.
(٥) سفر التكوين: ٤، ٧.
(٦) سفر التكوين: ٤، ٨.
(٧) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، تغلَّب على اللامبالاة واكسَب السلام، ص٢.

فقد رفض "قابيل" حكم الله تعالى، وأراد أن يشرع لنفسه أمرًا يخالف فيه إرادة الحكمة الإلهية، فستعلى على أمر الله بأمر نفسه الشيطانية، فوقع في خطيئته.

فقصة "قايين" و"هابيل" كما يرى "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" تعلّمنا أن البشرية تحمل في داخلها الدعوة للأخوة ولكنها تحمل أيضًا الإمكانيّة المأساوية لخيانتها، تشهد على ذلك الأنانيّة اليوميّة التي تقوم في أساس العديد من الحروب والظلم: " إذ يُقتل العديد من الرجال والنساء بأيدي إخوتهم وأخواتهم الذين لا يعترفون بهم كإخوة لهم، أي ككائنات خُلقت للتبادل والشركة والعطاء" (١).

فهذه القصة كما وردت في الكتاب المقدس تبين أن البشرية تحمل في داخلها الدعوة للأخوة ولكنها تحمل أيضًا الإمكانيّة المأساوية لخيانتها، من الأنانيّة اليوميّة التي تقوم في أساس العديد من الحروب والظلم، إذ يُقتل العديد من الرجال والنساء بأيدي إخوتهم وأخواتهم الذين لا يعترفون بهم كإخوة لهم.

ولقد وردت قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم كما في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧ – ٣٠). فالمنهج الذي زكاه الله في ابن آدم الأول في أول حادثة صراع في تاريخ المكلفين، ليكون هذا الأسلوب المذكي من قبل رب العالمين قبس ضياء للبشرية أجمعين في تاريخها الطويل بعد ذلك؛ يبزغ ويعم خيره في العالم وسيصل الناس إلى المدى الذي يقول فيه الإنسان للآخر: لئن بدأت الحرب،

(١) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، تغلَّب على اللامبالاة واكسَب السلام، ص٢.

وبسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربَّ العالمين.

وهذا مما دعا به رسول الله محمد ﷺ، فقد قال لمعاذ بن جبل حينما سأله: " يا رسول الله أرأيت إن دخل عليَّ بيتي – أي شخص– وبسط يده ليقتلني ! قال: فقال رسول الله ﷺ، " كن كابن آدم "﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٨) "[1].

إن حق الكرامة والحياة والحفاظ على النفس للإنسان حقوق أساسية ضمنتها الأديان، وهو أن يتمتع الإنسان بالأمان والاطمئنان على حياته، واحترامها وصيانتها وعدم الاعتداء عليها، وهي من أهم الحقوق الطبيعية الإنسانية، وهو منحة ربانية لكل نفس بشرية، ينبغي أن يصونها الفرد والمجتمع والدولة، وهو حق مكفول في جميع الشرائع السماوية ثم القوانين الوضعية، وما ذكرت قصة ابني آدم كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ (المائدة: ٢٧). إلا للاعتبار والتذكير بحرمة قتل النفس بغير حق، وضرورة احترام النفس الإنسانية، وإن لكل نفس حقًا في الحياة، بل إن منع القتل هو مسؤولية الجميع أفرادًا أو جماعات.

لقد كرم الله تعالى النفس البشرية وزكاها، فقال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٠). وبين في كتابه الكريم أنه من قتل نفسًا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها فكأنما أحياها الناس جميعًا، فقال تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ

(١) مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ،نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م، ج١٠، حديث رقم ٧٤٦٤، ص١٢ . والحديث أخرجه الترمزي في سننه: (٢١٩٤). وأحمد في مسنده ج١، ١٨٥. بإسناد صحيح.

كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢).

والإسلام لم يغفل في تنظيمه للعلاقات الإنسانية؛ بأن قصرها على العلاقة مع الله عز وجل، بل نظم العلاقة بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والإنسان، وحدد الإسلام العلاقات الإنسانية والأخوية في إطار عام؛ من القيم الاجتماعية والروحية، والأخلاقية، وأولى الله تعالى أهمية كبيرة لتنظيم العلاقات الإنسانية، فنرى؛ أن الله سبحانه وتعالى، قد نظم في كتابه الكريم هذه العلاقات على أساس المساواة، كما صرحت الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣). والمساواة أساس التعارف، كما أن التعارف يقتضي المودة والتعاون في كل أمور الحياة، والعدالة أساس العلاقات الإنسانية كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥). وجاء الإسلام منظمًا لكل هذه العلاقات الإنسانية من الأخوة، مرتقيًا بها إلى أقصى غايات السمو النفسي والعقلي والروحي، ففي الكلمة الطيبة صدقة، وفي إماطة الأذى عن الطريق صدقة، يقول رسول الله ﷺ: "الكلمة الطيبة صدقةٌ" (١). ويقول ﷺ: " إماطة الأذى عن الطريق صدقة " (٢).

وإذا كان الإسلام لم يغفل في تنظيمه للعلاقات للأخوة الإنسانية؛ فإن المسيحية أيضًا لم تغفل في تنظيم العلاقات الإنسانية؛ ويطرح "البابا فرنسيس " سؤلًا: هل سيتمكن رجال ونساء هذا العالم من الإجابة بالكامل على رغبة الأخوة

(١) محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تحقيق، محمد الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، كتاب، المظالم والغصب، باب إماطة الأذى، حديث رقم، 159086 .

(٢) صحيح مسلم، حديث رقم ١٦٦٨ . وأبو داود في سننه: ١٢٨٥.

التي طبعها فيهم الله ؟. هل سيتمكنون بجهودهم فقط من الانتصار على اللامبالاة والأنانيّة والحقد، وقبول الاختلافات المشروعة التي تميّز الإخوة والأخوات؟.

ويجيب قائلًا: "يمكننا أن نلخّص هكذا الجواب الذي يعطينا إياه "عيسى عليه السلام": "أَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ"(١). فجذور الأخوّة تكمن في الله، فهي حب الله الشخصي المحدد والملموس لكل إنسان ... لأننا عندما نقبل محبة الله، تصبح هذه المحبة العامل الأروع في تحول الوجود والعلاقات مع الآخر، فتفتح البشر على التضامن والمشاركة الفاعلة" (٢).

ويبين "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان " أن الأخوّة هي الأساس والطريق للسلام، فيقول: " من السهل أن نفهم أن الأخوة هي الأساس والطريق للسلام، فالرسائل العامة الاجتماعية لأسلافي تقدّم مساعدة قيّمة في هذا المجال، يكفي العودة إلى تعريف السلام في الرسالة العامة "ترقّي الشعوب" للبابا بولس السادس أو الرسالة العامة "الاهتمام بالشأن الاجتماعي" للبابا يوحنا بولس الثاني، نستخلص من الأولى أن النمو الشامل للشعوب هو اسم السلام الجديد" (٣). ومن الثانية أن السلام هو ثمرة التضامن"(٤).

ويؤكد "البابا بولس السادس": " أن على الأمم أيضًا أن تلتقي في روح من الأخوة، لا الأشخاص وحسب، ويوضح "في هذا التفاهم والولاء المتبادلين، وفي هذه

(١) إنجيل متى: ٢٣، ٨- ٩.
(٢) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، تغلَّب على اللامبالاة واكسَب السلام، ص٢.
(٣) بولس السادس: الرسالة العامة ترقي الشعوب، نشر موقع الفاتيكان، ٢٦ آذار مارس ١٩٦٧م، ص٣. والبابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.
(٤) يوحنا بولس الثاني: الرسالة العامة الاهتمام بالشأن الاجتماعي نشر موقع الفاتيكان، ٣٠ كانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م، ص٣. والبابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.

الشركة المقدسة، يجب أن نعمل معًا لكي نبني مستقبل البشرية المشترك"[١]. هذا الواجب يعني في المقام الأول، المميزين واجباتهم في الأخوة البشرية، وتظهر بأبعاد ثلاثة: واجب التضامن، الذي يتطلب أن تساعد الأمم الثرية تلك الأقل تقدما؛ واجب العدالة الاجتماعية، الذي يتطلب إعادة تركيب العلاقات المعتلة بين الشعوب القوية وتلك الضعيفة لجعلها أصح؛ واجب المحبة الكونية الذي يقتضي العمل من أجل عالم أكثر إنسانية بالنسبة للجميع، عالم يكون فيه للكل شيء يعطى وشيء يؤخذ، دون أن يشكل تقدّم البعض عائقا أمام نمو البعض الآخر، هكذا إذا اعتبرنا السلام عملًا تضامنيًا، لا يسعنا، والحالة هذه، أن نفكر بأن الأخوة ليست ركيزته الأساسية " [٢].

والأخوّة الإنسانية شرط أساس للتغلب على الفقر؛ فقد جاء في الوثيقة: " باسمِ الفُقَراءِ والبُؤَساءِ والمَحرُومِينَ والمُهمَّشِينَ الَّذين أَمَرَ اللهُ بالإحسانِ إليهم ومَدِّ يَدِ العَوْنِ للتَّخفِيفِ عنهم، فرضًا على كُلِّ إنسانٍ لا سيَّما كُلِّ مُقتَدِرٍ ومَيسُورٍ". "باسمِ الأيتامِ والأَرامِلِ، والمُهَجَّرينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم، وكُلِّ ضَحايا الحُرُوبِ والاضطِهادِ والظُّلْمِ، والمُستَضعَفِينَ والخائِفِينَ والأَسْرَى والمُعَذَّبِينَ في الأرضِ، دُونَ إقصاءٍ أو تمييزٍ " [٣].

يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان": " إن العديد من حالات التباين والفقر والظلم لا تشير فقط إلى نقص عميق في الأخوة، وإنما إلى غياب ثقافة التضامن أيضًا، والإيديولوجيات الجديدة – الآراء والأفكار – التي تتميّز بفردانيّة منتشرة وأنانيّة واستهلاكيّة ماديّة تضعف الروابط الاجتماعيّة مغذيةً ذهنيّة "الإقصاء" التي

(١) البابا بولس السادس: الرسالة العامة ترقي الشعوب، ص٣. والبابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.
(٢) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.
(٣) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك،، ص١-٢.

تقود إلى احتقار ونبذ الأكثر ضعفًا والذين يُعتبرون "بلا فائدة"، هكذا يصبح التعايش الإنساني أشبه بتبادل خدمات برغماتي وأناني" [١].

ويدعو "الباب فرنسيس بابا الفاتيكان" الشعوب إلى الإخاء والتعاون والمساهمة في مقاسمة الأفراح، والأتراح، والصعوبات والنجاحات التي ترافق حياة الأشخاص، إذ إنها شرط أساس للتغلب على الفقر، فيقول: "إن غياب الأخوّة بين الشعوب والبشر يشكل سببًا هامًا للفقر، في العديد من المجتمعات نختبر نوعًا عميقًا من الفقر في العلاقات يعود إلى النقص في العلاقات الوطيدة وسط العائلات والجماعات، إننا نشهد بقلق نمو أنواع متعددة من الإستياء، والتهميش، والوحدة، وأشكال متنوعة من التبعية المرضية، يمكن تخطي هذا النوع من الفقر فقط عن طريق إعادة اكتشاف وتثمين العلاقات الأخوية وسط العائلات والجماعات، من خلال مقاسمة الأفراح والأتراح الصعوبات والنجاحات، التي ترافق حياة الأشخاص"[٢].

في هذا النص يدعو "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" الشعوب إلى الآخاء والتعاون وتحدي الصعوبات التي ترافق حياة الأشخاص، وذلك من خلال مقاسمة الأفراح والأتراح .

ويوضح "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" أن هناك عدة عناصر متبادلة بين الشرق والغرب تتمثل في التبادل العلمي، والثقافي، والفني بين الحضارتين، تشكل أرضية مشتركة تساعد في بناء تقارب حضاري يقوم على التكامل وتبادل المنافع، وترسيخ مبادئ الديمقراطية والحرية ، والتي تجعل حق الإنسان الشرقي مثل أخيه الغربي، في حياة آمنة كريمة، فيقول: " إن هذه العناصر المتبادلة التي تتمثل في التبادل العلمي والثقافي والفني بين الحضارتين، ربما تشكل

(١) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص١.
(٢) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.

أرضية مشتركة تساعد في بناء تقارب حضاري يقوم على التكامل وتبادل المنافع، وترسيخ مبادئ الديمقراطية والحرية وحق الإنسان الشرقي – مثل أخيه الغربي– في حياة آمنة كريمة، مع أمل كبير في أن تتوقف الدول القادرة الغنية عن الاستبداد والتحيز والكيل بمكيالين: مكيال للغرب وآخر للشرق، وأن تتوقف سياساتها التسلطية على الضعفاء والمستضعفين، هذه السياسات التي يبدو أنها أجمعت أمرها على تقسيم العالم إلى فسطاطين: فسطاط للغني والأمن والرفاهية والتقدم العلمي والثقافي والفني والحضاري ، وفسطاط للحروب والدماء والإرهاب والخراب والفقر والجهل والمرض" (١).

والأخوّة تولّد السلام الاجتماعي: " لأنها تخلق توازنا بين الحرية والعدالة، بين المسؤولية الشخصية والتضامن، بين خير الأفراد والخير العام "(٢).

يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان": " إن روح الأخوة الأصيل يتغلب على الأنانية الفردية التي تعترض إمكانية أن يعيش الأشخاص بحرية وبتناغم مع بعضهم البعض، هذه الأنانية تنمو اجتماعيًا، أكان في الأشكال المتعددة للفساد، المتشعبة جدًا اليوم، أم في تشكيل المنظمات الإجرامية، بدءا من الجماعات الصغيرة وصولًا إلى تلك المنظمة على مستوى عالمي، والتي تستهدف كرامة الشخص في الصميم، مستنفدة في العمق الشرعية والعدالة، هذه المنظمات تسيء إلى الله بشكل خطير، تلحق الضرر بالإخوة وتفسد الخلق، خصوصًا عندما تكون ذات صبغة دينية " (٣).

في هذا النص تتمحور الأخوة الإنسانية في التغلب على الأنانية الفردية التي تعترض إمكانية أن يعيش الأشخاص بحرية تامة، والتي تدفع البعض في تشكيل

(١) أ. د. أحمد الطيب: الشرق والغرب والسلام المنشود، ص١٣.
(٢) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.
(٣) المصدر نفسه: ص٢.

المنظمات الإجرامية والتي تستهدف كرامة الشخص الإنسانية وتتخذ من الدين انتشارًا لها.

ويطرح "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" سؤلًا مهمًا يتعلق بصورة الإسلام، خاصة لانتساب بعض الجماعات المتطرفة له والتي تَقْتُل وتُدَمِّر وتقطَع الرِّقَاب بِاسْمِ الله وبِاسْمِ الإسلام وشريعته، فيقول: " ولَعَلَّ بعضكم الآن يتهامس مُعترضًا على ما أقول، أو مُتسائلاً مُستنكِرًا لما سمع: إذا كان الإسلام والمسلمون بهذه الصورة الورديَّة المُضيئة، فكيف خرجت الحركات الدِّينيَّة المُسَلَّحَة من عباءَة الإسلام والمسلمين – مثل "داعِش" وأَخواتها – تَقْتُل وتُدَمِّر وتقطَع الرِّقَاب بِاسْمِ الله وبِاسْمِ الإسلام وشريعته ؟. ألا تهدم هذه المشاهد اللاإنسانيَّةُ المُرعبة كلَّ ما قُلتَه عن الإسلام من أنَّه دين السَّلام والأخوة الإنسانيَّة والتراحم بين الناس ؟." (١).

ويجيب "الإمام الأكبر الاستاذ الدكتور أحمد الطيب" على هذا السؤال قائلًا: " لو أنَّ كل دين من الأديان السَّمَاويَّة حُوكِم بما يقترفه بعض أتباعه من جرائم والقتل والإبادة لَمَا سَلِمَ دين من الأديان من تُهمَة العُنف والإرهاب؛ ذلك أنَّ الإرهابيين الَّذين يُمارسون جرائمهم باسم الأديان لا يمثلون هذه الأديان، بل هم – في حقيقة الأمر– خائنون لأمانات الأديان التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، إنَّ الأديان إنَّما تُفهَم من تعاليمها الإلهيَّة ومن تطبيقات الأنبياء الَّذين حملوا هذه التعاليم وبلَّغوهَا للنَّاس ودعَوهم إليها، هكذا كانت رسالة سيدنا محمد، وهكذا كانت رسالة سيدنا عيسى، وسيدنا موسى، وكل رسالات السَّمَاء إلى البَشر" (٢).

إن تبرئة الأديان من الإرهاب لم تعد تكفي أمام هذه التحديات المتوحشة، وأن خطوة أخرى يجب علينا أن نبادر بها، وهي: " النزول بمبادئ الأديان وأخلاقياتها إلى هذا الواقع المضطرب، وأن هذه الخطوة تتطلَّب – من وجهة نظري– تجهيزاتٍ

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص١٨-١٩.
(٢) المصدر نفسه: ص١٨-١٩.

ضرورية، وأولها إزالة ما بين رؤساء الأديان وعلمائها من بقايا توترات وتوجسات لم يَعُد لوجودها الآن أيُّ مُبرِّر، فما لم يتحقق السلام بين دُعاته أوَّلًا لا يمكن لهؤلاء الدُّعاة أن يمنحوه للناس، وأنى لفاقد شيء أن يمنحه لغيره ! وهذه الخطوة بدورها لا تتحقَّق إلَّا مع التعارف الذي يستلزم التعاون والتكامل، وهو مطلب ديني في المقام الأول" (١).

ثمَّ إنَّ الإرهاب لا يُفَرِّق بين ضَحايَاه ما داموا لا يعتنقون أيديولوجيته وأفكاره المُتطرِّفة، وإذا كان البعض لا يزال يعتقد أن الإسلام يسوغ جرائم الإرهاب فعلى هذا البعض أن يتذكر أنَّ المُسْلِمين هم من يدفعون ثمن هذا الإرهاب من دمائهم، وأشلاء أجسادهم ونسائهم وأطفالهم أضعافَ أضعافِ ما يدفعه غير المسلمين من ضحايا هذا الوباء، فكيف يصح في الأذهان أن ينسب المسلمون إلى هؤلاء القتلة الذين يبرأُ منهم الإسلام والمسلمون؟! (٢).

ويعزز "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" كلامه حول خطر الإرهاب حول العالم أجمع فيقول: " ولعلكم تتفقون معي في أنَّه لا مفر للشرق والغرب حيال هذا الإرهاب العابر للقارَّات من انفتاح حقيقي متبادل بين الأديان والمؤمنين بها، كما لا مفر من عقد "معاهدة سلام" أوَّلًا بين رجال الأديان وعلمائها، قبل الدعوة إليه بين الناس، وأنا مِمَّن يؤمنون بالشعار الذي أطلقه منذ وقت قريب اللاهوتي المعاصر هانس كونج «Hans Kung» وأعلن فيه أنه: " لا يمكن أن يكون ثَمَّ سلام بين الشعوب مادام لا يكون ثَمَّ سلام بين الأديان" (٣). وهو الشعار نفسه الذي أطلقه شيخ الأزهر "محمد مصطفى المراغي" في لندن عام (١٩٣٦م)

(١) أ. د. أحمد الطيب: الحرية والمواطنة التنوع والتكامل، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م، ص١٨-١٩.

(٢) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٠.

(٣) هانس كينغ "Hans Kung": مشروع أخلاقي عالمي: دور الديانات في السلام العالمي، عربه عن الألمانية، جوزيف معلوف، وأورسولا عساف، ضمن سلسلة دراسات أخلاقية، ٢، نشر المكتبة البولسية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ص٢٦٧. وينظر: أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٠-٢١.

عندما نادى بالزمالة العالمية بين رجال الأديان، وبالفهم الصحيح المتبادل بين حضارة الغرب، وحضارة المسلمين" [١].

ويستطرد " الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" كلامه فيقول: " واسمحوا لي أن أقول: إنَّنِي حين أتحدَّث عن مجتمعاتكم بشيء من الإعجاب بما تتخذونه من سياسات تقوم على المُسَاواة والدِّيمُوقراطيَّة ورعاية حُقُوق الإنسان، يَسألني البعض مُستنكِرًا: إذا صحَّ ما تقول من استقرار هذه القيم النبيلة بين الشعوب الأوروبيَّة، فإنَّنَا لا نَرى شيئًا من ذلك في كثير من مواقف الغَرب حِيال البلاد الإسلاميَّة، فالكثيرون في الشَّرق العَربيِّ والإسلاميِّ لا يعرفون من الغرب إلا سياسة الكيل بمكيالين، وسياسة المصالح الخاصة التي لا تراعي مصالح الشعوب"[٢].

إن الأخوة الإنسانية لا تتم إلا بالصفح والمسامحة والسلام والأمن والأمان ونشر مكارم الأخلاق وتبادل المنافع بين البشرية، وعدم نظرة الغرب إلى الشرق نظرة التدني مما دفع " الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" موجهًا رسالة إلى حكماء الغرب وسياسيهم: " أن يعملوا على تغيير هذه النظرة التي تعكر كثيرًا من صفاء العلاقات الإنسانية بين الشرق والغرب، وقد آن لنا أن نبدأ معًا صفحة جديدة نعمل على ترسيخ السَّلام العَالميِّ، وإخماد نيران الحروب، ووقف شلالات الدماء والفرار من الأوطان، ونتصدى لحل القضية الفلسطينية حلًا عادلًا يضمن السلام العادل والاستقرار في المنطقة؛ وهذه يدي ممدودة إليكم سويًا من أجل هذه الأهداف الإنسانية النبيلة، فهل من مُجيب ؟ !" [٣].

إنَّ الديموقراطيَّة الَّتي نتطلعُ لأن تُرفرفَ أعلامُها عالية خفاقة في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة، لَا يمكنُ أن تتحقَّقَ بالحروب وصراع الحضارات والفوضى

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٠-٢١.
(٢) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢١-٢٢.
(٣) المصدر نفسه: ص٢٢.

الخلَّاقةِ وأنهارِ الدِّماءِ وتجارةِ السِّلاح، وإنما بالتبادل الحضاري بيننا وبينكم، والحوار المتكافئ غير المستبد، وبرامج تبادل التعليم والصناعة والتكنولوجيا [١].

لقد كان "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" مهتمًا كل الاهتمام بمأساة كثير من الشباب في المجتمعات، من فعل كثير من الأفعال التي لا توطد العلاقات الأخوية بين الناس، فيقول: "أفكر بمأساة المخدرات الممزِّقة التي يتم من خلالها جني الأرباح في إطار ازدراء القوانين الخلقية والمدنية، أفكر بإتلاف الموارد الطبيعية وبالتلوث الحاصل، بمأساة استغلال العمل؛ أفكر بالنشاطات المالية غير المشروعة وبالمضاربات الوهمية المالية، التي غالبًا ما تكتسب طابعًا مضرًا ومسيئًا لأنظمة اقتصادية واجتماعية برمتها، ما يعرض للفقر ملايين الرجال والنساء؛ أفكر بالدعارة التي تحصد يوميًا ضحايا أبرياء، خصوصًا وسط الأجيال الفتية، وتسلب منها المستقبل؛ أفكر بالإتجار المقيت بالكائنات البشرية، بالجرائم والانتهاكات الممارسة بحق القاصرين، بالعبودية التي ما يزال رعبها منتشرًا في مناطق عدة من العالم، بمأساة غالبًا ما لا تلقى آذانًا صاغية، مأساة المهاجرين الذين غالبًا ما يُستغلون بطريقة مخزية في إطار انعدام الشرعية، لقد كتب بهذا الصدد يوحنا الثالث والعشرون: "إن التعايش المرتكز إلى علاقات القوة وحسب ليس تعايشًا إنسانيًا، وفي ظله لا مفر من تعرض الأشخاص للقهر والقمع، عوضًا عن تشجيعهم وتحفيزهم على تنمية الذات وإتقانها"[٢]. " لكن الإنسان يستطيع أن يرتد –يرجع عن فعله– ويجب ألا نفقد أبدًا الأمل في عيش حياة جديدة، أتمنى أن يشكل هذا الأمر رسالة ثقة للجميع، حتى من ارتكبوا جرائم فظيعة"[٣]. "لأن الله لا يريد موت الخاطئ، بل أن يتوب ويحيا"[٤].

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٢-٢٣.
(٢) يوحنا الثالث والعشرين: الرسالة العامة للبابا يوحنا الثالث والعشرين السلام في الأرض، منشورات موقع الفاتيكان، ١١ نيسان ١٩٦٣م، ص٢. وينظر: البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.
(٣) البابا فرنسيس: رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، ص٢.
(٤) حزقيال: ١٨، ٢٣.

ويؤكد "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" على منهجية الأزهر الشريف بأنه قائم ودائم على التجديد في خطابه ومناهجه التعليمية، وعلى دور عُلَمَاء الأزهر بأنهم يتصدون الآن في كل مكان للأفكار المَغلُوطة، التي تَحرِّف الدِّين وتستغله في الدعوة إلى الفِتنة العَمْيَاء الَّتي تَسْتَحِلّ الدِّمَاء وتُدَمِّر الأوطَان، فيقول: " وَمَعَ أنَّ الأزهر دائم الاهتِمام بتجديد خطابه ومناهِجه التعليميَّة، إلَّا أنَّه ضَاعَف من هذه المُهِمَّة في السَّنوات الأخيرة، ويضيق الوقت عن سَرد الخطة الشَّاملة للتجديد والتطوير، ويكفي أنْ تَعْلَمُوا أنَّ عُلَمَاء الأزهر يتصدون الآن في كل مكان للأفكار المَغلُوطة، التي تَحرِّف الدِّين وتستغله في الدعوة إلى الفِتنة العَمْيَاء الَّتي تَسْتَحِلّ الدِّمَاء وتُدَمِّر الأوطَان، وذلك من خلال وسائل عدة؛ منها القوافل التي تجوب العالم للدعوة إلى السلام العالمي، وتُحصِّنُ عقول الشباب من التردي في بؤرة الإرهاب، وكذلك من خلال مرصد الأزهر الإلكتروني الذي يعمل بلغات عدة، ونتوقع له انتشارًا عالميًا في المستقبل القريب" (١).

وقد عقد الأزهر الشريف مؤتمرًا في شهر صفر: ١٤٣٦هـ، ديسمبر ٢٠١٤م، دعا إليه علماء المسلمين من الشيعة والسنة ورؤساء الكنائس الشرقية وبعض الكنائس الغربية وممثل الإيزيديين من العراق، وانتهى المؤتمر في بيانه الجماعي إلى إدانة الجماعات المسلحة، والمليشيات التي تنتهج العنف والإرهاب وتروع الآمنين، كما انتهى إلى إعلان أن المسيحيين والمسلمين في الشرق إخوة ، عاشوا معًا على مدى قرون عديدة ، وأنتم عازمون على مواصلة العيش في دولة وطنية تحقق المساواة وتحترم الحريات، وأن التعرض للمسيحيين وغيرهم باسم الدين هو خروج عن تعاليم الإسلام، وأن التهجير القسري جريمة مستنكرة، نجمع على إدانتها، وقد ناشد الأزهر المسيحيين أن يتجذروا في أوطانهم حتى تزول موجة الإرهاب الذي نعاني منه جميعًا(٢).

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٣.
(٢)أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٣-٢٤.

ونحن نعلم أنه يعيش في أوروبا اليوم ما يَقْرُب من عشرين مليون مُسْلِم، معظمهم ولد في أوروبا وأصبح أوروبيًّا، وأقول: يجب أنْ يتمتع هؤلاء جميعًا بالمُسَاواة بينهم وبين المُواطِنين من أصول أوروبية، وألَّا تتركوهم يشعرون بأنَّهُم مُهَاجِرون يَعيشُون على هامِش المُجتَمَع، ويفتقدون ولاءهم لمجتمعهم الذي ينتمون إليه، فالولاء للأوطان هو "المَناعَةُ" القَويَّةُ الَّتي تَقِف ضِدَّ الانزِلاق إلى التَّطَرُّف والعُنف[1]. هذا وإنَّ شُعوب الشَّرق العَربيِّ والإسلاميِّ لتنظُر إلى أوروبا باعتبارها الشَّريك الأقرب في حضارة البحر المُتوسط، ومن ثَمَّ فإنَّ هذه الشعوب تعوِّل عليكم كثيرًا في نهضتها التنمويَّة والعلميَّة، ولا يكون ذلك إلا بالتعاون المثمر وباحترام إرادة هذه الشعوب في اختيار مصائرها ورسم مستقبلها[2].

في هذه النصوص السابقة يبين "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" أنه لا مفر للشرق والغرب من الوقوف خلف الآخر والتمسك بالأخوة الإنسانية والقيم الأخلاقية، وانفتاح كلٌ منهما على الآخر، والتصدي لخطر الإرهاب الذي ينفث سمومه على البشرية جمعاء، كما بين مكانة الأزهر الشريف، في التصدي للأفكار المغلوطة التي تحرف الدين وتستغله في الدعوة إلى الفتنة العمياء التي تستحل الدماء، وتدمر الأوطان، كما بين أن الأزهر وعلماء المسلمين من الشيعة والسنة ورؤساء الكنائس الشرقية، وبعض الكنائس الغربية، وفئة من الإيزيديين العراقيين يدينون الجماعات المسلحة والمليشيات، التي لا تتحلى بالقيم الأخلاقية، إذ كل ما يفعلونه ليس من القيم الأخلاقية في شيء، وهذا ما سنتحدث عنه بإذن الله تعالى في الصفحات المقبلة.

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٥.
(٢) المصدر نفسه: ص٢٥-٢٦.

الفصل الثاني

القيم الأخلاقية من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية

الفصل الثاني

القيم الأخلاقية من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية

لقد جاء في الوثيقة ما نصه: " باسمِ العَدْلِ والرَّحمةِ، أساسِ المُلْكِ وجَوْهَرِ الصَّلاحِ، باسمِ كُلِّ الأشخاصِ ذَوِي الإرادةِ الصالحةِ، في كلِّ بِقاعِ المَسكُونَةِ. وجاء فيها أيضًا:" ونَتَوجَّهُ للمُفكِّرينَ والفَلاسِفةِ ورِجالِ الدِّينِ والفَنَّانِينَ والإعلاميِّين والمُبدِعِينَ في كُلِّ مكانٍ ليُعِيدُوا اكتشافَ قِيَمِ السَّلامِ والعَدْلِ والخَيْرِ والجَمالِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المُشتَرَكِ، ولِيُؤكِّدوا أهميَّتَها كطَوْقِ نَجاةٍ للجَمِيعِ، ولِيَسعَوْا في نَشْرِ هذه القِيَمِ بينَ الناسِ في كلِّ مكان" . ولقد أكدت الوثيقة على: " أنَّ الحوارَ بين المُؤمِنين يَعنِي التلاقيَ في المساحةِ الهائلةِ للقِيَمِ الرُّوحيَّةِ والإنسانيَّةِ والاجتماعيَّةِ المُشتَرَكةِ، واستثمارَ ذلك في نَشْرِ الأخلاقِ والفَضائلِ العُلْيَا التي تدعو إليها الأديانُ، وتَجنُّبَ الجَدَلِ العَقِيمِ ". كما أكدت الوثيقة أيضًا على: " أنَّ حمايةَ حُقوقِ المُسنِّين والضُّعفَاءِ وذَوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ والمُستَضعَفِينَ ضرورةٌ دِينيَّةٌ ومُجتمعيَّةٌ يَجِبُ العمَلُ على تَوفيرِها وحِمايتِها بتشريعاتٍ حازمةٍ وبتطبيقِ المواثيقِ الدوليَّة الخاصَّةِ بهم" [1].

ويتضح الجانب الأخلاقي في هذه النصوص من وثيقة الأخوة الإنسانية بشي من التفصيل من خلال المباحث الآتية:

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

المبحث الأول

مفهوم القيم الأخلاقية

أولًا: مفهوم القيم في المدلول اللغوي.

القيمة: مفرد قيم، وهى لغة: "من قوَّمَ، وقام المتاع بكذا أي تعدلت قيمته به، والقيمة تستخدم لمعرفة قيمة الشيء، فقيمة الشيء قدْره وقيمة المتاع ثمنه "قوَّ م السِّلْعة تقْويما"، والقوام بالفتح العدل " (١). قال تعالى: "﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان:٦٧). يقال: كتب قيمة مستقيمة تبين الحق من الباطل، والقيم: السيد وسائس الأمر، والقّوام: المتكفل بالأمر" (٢). و قوامُ" الرجل أيضًا قامتُهُ وحُسْنُ طُولِهِ، و"قوامُ " الْأَمْرِ بِالْكسْر نظامُهُ، وعِمادُهُ يُقال: فُلانٌ قِوامُ أَهْلِ بيْتِهِ و" قيامُ "أَهْلِ بيْتِهِ وهو الذي يُقِيمُ شأنهم" (٣).

هذا عن مفهوم القيم في المدلول اللغوي، تبين من خلاله أن القيم تطلق على قيمة الشيء وثمنه، كما تطلق على الاستقامة والاعتدال، وعلى نظام الأمر وعماده، كذلك على الثبات والدوام والاستمرار، ولعل معنى الثبات والدوام والاستمرار على الشيء هو أقرب المعاني لمفهوم القيم في بحثنا.

ثانيًا: مفهوم القيم في المدلول الاصطلاحي.

تعددت التعريفات حول هذا المصطلح، نظرًا لأن كل باحث يتناوله من زاوية بحثه فجاء هذا المصطلح متعدد المعاني، وإن ظل في كل المجالات وثيق الصلة بالإنسان، ومن هذه التعريفات:

---

(١) الرازي: مختار الصحاح، ج١، ص٢٦٢.
(٢) محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م، ج٣٣، ص٣١٩.
(٣) الرازي: مختار الصحاح، ج١، ص٢٦٢.

القيم: "هي الثوابت المرجعية والمعايير التي تحكم سلوك الناس ويمكن الرجوع إليها عند وضع القوانين والتشريعات المختلفة" (١). والقيم: " شعبة كبيرة من شعب الإسلام تتمثل في التوحيد، والقيم والمعاملات" (٢).

ويطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق: "على ما يدل عليه لفظ الخير، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر، وتسمى الصور الغائية المرتسمة على صفحات الذهن بالقيم المثالية، وهي الأصل الذي تبنى عليه أحكام القيم، أي الأحكام الإنشائية التي تأمر بالفعل أو بالترك " (٣).

ويفهم من هذا التعريف، أن كل ما هو خيرٌ فهو ذو قيمة، بحيث تكون قيمة الفعل معياره الذي يوجه ويحكم تصرفات واتجاهات الفرد نحو مواضيع، ومواقف، ومعتقدات، وتقويمات، وأحكام، وتبريرات، ومقارنة النفس بالغير، ومحاولة التأثير في الغير أيضًا، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر.

وتعرف القيم في الفكر الإسلاميّ بأنها: "مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصيّة الإسلاميّة، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحيّ مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة" (٤).

(١) د. جابر عوض أحمد سيد: البيئة والتنمية والخدمة الاجتماعية، نشر دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، مصر، ١٩٩٥م، ص٣٣٨.
(٢) د. نادية محمود مصطفى، د. سيف الدين عبد الفتاح: القيم في الظاهرة الاجتماعية، نشر دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط١، ٢٠١١م، ص٤٧.
(٣) د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ج٢، ص٢١٣.
(٤) د. جابر قميحة: مدخل إلى القيم الإسلامية، نشر دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص٤١.

وتعرّف القيم أيضًا بأنّها: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما، مهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك" (١).

كذلك تعرف القيمة أيضًا في الاصطلاح بأنها العدل: "لأن العدل ميزان ونفهم ذلك من خلال افتتاحية سورة الرحمن التي أسست لسبعة مفاهيم بدأت بالرحمن وانتهت بالميزان على نحو ما يلي " الرحمن– القرآن – البيان – الأكوان – الحسبان – الميزان " وعند الحديث عن الميزان في السورة الكريمة، ذكر مرتين: وضع الميزان وهذا مدخل للقيم، ووضع الميزان في موضعه الصحيح بأن يكون صالحًا للوزن غير مختل، ثم الحديث عن عمليتين في الوزن، هاتان العمليتان المقبولتان في الميزان القيمي وهما الطغيان والإخسار: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴾ (الرحمن:٩) ﴿ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴾ (الرحمن:٨) هذه المعادلات المتعلقة بافتتاح سورة الرحمن في إطار القيم وتعلمنا جملة من العناصر للأمر الذي نحن بصدده"(٢).

هذا عن مفهوم القيم في المدلول الاصطلاحي، تبين من خلاله بأن القيمة هي المعيار الذي يوجه ويحكم تصرفات واتجاهات الفرد نحو مواضيع، ومواقف، ومعتقدات، وتقويمات، وأحكام، وتبريرات، ومقارنة النفس بالغير ومحاولة التأثير في الغير أيضًا.

ثالثًا: مفهوم الأخلاق في المدلول اللغوي.

الأخلاق جمع خلق، والخلق لغة: "السجية، والخلق بضم اللام وسكونَها هو الدين والطبع والسجية والمروءة، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهى نفسه،

(١) د. حامد عبد السلام زهران: علم النفس الاجتماعي، نشر عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧م، ص١٣٣.

(٢) د. نادية محمود مصطفى، د. سيف الدين عبد الفتاح: القيم في الظاهرة الاجتماعية، ص٥٥.

وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها"[١].

وقيل: " الخُلق، بالضم وبضمتين السجية والطبع والمروءة والدين " [٢]. والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد، لكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة " [٣].

وعليه فإن المعنى اللغوي لكلمة "خلق" يتضمن عدة أمور:

أولها: "أن الخلق هو الذي يدل على الصفات الطبيعية في خلق الإنسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة.

ثانيها: أن الأخلاق تدل على الصفات التي اكتسبت وصارت كأنها خلقت مع طبيعته.

ثالثها: أن للأخلاق جانبان، جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهر"[٤].

إذن فإن كلمة خلق في اللغة العربية تدل على عدة معان أهمها: السجية، والطبع، والمروءة في الدين، والخلقة بمعنى الفطرة، والخلق بمعنى التقدير.

رابعًا: مفهوم الأخلاق في المدلول الاصطلاحي.

يعرف الخُلق بأنه: "عبارة عن هيئة في النّفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص٨٦.
(٢) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، د.ت، ص٨٨١.
(٣) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٢٩٧.
(٤) أ.د. سعيد عبد الحميد الهواري، أ.د. نظير محمد محمد النظير، د. راضي عبد الله درويش، محاضرات في علم الأخلاق، نشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ٢٠١٢م، ص٣. وينظر: أ.د . ثروت عبد الرحمن حسن مهنا: بغية المشتاق إلى دراسة علم الأخلاق، نشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ١٤٢٢هـ، ص٨.

الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا سميت تلك الهيئة خُلُقًا حسنً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا"[١].

فالخُلق: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسْر من غير حاجة إلى فكر وروية"[٢]. وقيل : "هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون فى بعض الناس غريزة وطبعًا، وفى بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد فى كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمد، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة" [٣].

ومن خلال التعريفات السّابقة نجد الإمام "الغزالي ت٥٠٥هـ"، و"الشريف الجرجاني ت٨١٦هـ"، قد عرّفا الأخلاق بأنّها هيئة في النّفس راسخة، ونلحظ من ذلك أنّ الأخلاق تصدر من الإنسان بصورة عفويّة، فلا تحتاج إلى جهد أو تفكير، فهي تصدر عنه بصورة تلقائيّة دون تكلّف، إلا أنّها قد تتغير بالممارسة المستمرة .

والخُلق: "حال للنفس، داعية لها إلى فعل أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك مفرطًا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، نشر دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١٤٢٦،١هـ، ٢٠٠٥م، ص٩٣٤.
(٢) الجرجاني: التعريفات، ج١، ص١٠١.
(٣) عمرو بن بحر الجاحظ: تهذيب الأخلاق، تعليق، إبراهيم محمد، نشر دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٩٨٩م، ص١٢.

أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولًا فأولًا، حتى يصير ملكة وخلقًا" (١).

والمتأمل في هذا التعريف عند "ابن مسكويه ت٤٢١هـ " يجد أن الخلق:

أ- هيئة أو حالة نفسية ثابتة، وليست مؤقتة، تصدر عنها الأفعال من غير كلفة أو مشقة، ولذا فهو يقرر أن الصفات الخلقية كالجود أو البخل وغيرهما لا نسميها خلقًا إلا بعد أن تصير هيئة للنفس يصدر أبدًا عنها فعل واحد بلا روية، وأما قبل ذلك فلا يسمى خلقًا (٢).

ب- إن الخُلق منه ما هو طبيعي ومنه ما هو مكتسب (٣).

ج- إن هذا التعريف وما ترتب عليه قد استفاده من "جالينوس ت٢٠٠م" وإن كان تصرف في بعض عباراته.

فالخُلق عند "جالينوس": "حال للنفس داعية الإنسان إلى أن يفعل أفعال النفس بلا روية ولا اختيار" (٤).

ويعرف "الإمام الأكبر الدكتور الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" الخُلق بأنه: "الطبع والسجية، ويعبر عنه فلاسفة الأخلاق المسلمين بأنه "هيئة" راسخة ومستقرة في النفس، وأنه صورة الإنسان الباطنية في مقابل: الخلق الذي هو صورة الإنسان الظاهرية" (٥).

---

(١) أحمد بن محمد بن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب ه نشر المطبعة المصرية، القاهرة، ط١، د.ت، ص٤١.

(٢) أبي حيان التوحيدي ومسكويه: الهوامل والشوامل، نشره، د. أحمد أمين – السيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م، ص١١٩.

(٣) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٤١.

(٤) د. فتحي محمد الزغبي: فلسفة الأخلاق عند مسكويه، نشر مكتبة الأشول للطباعة، طنطا، مصر، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص٣٠٢

(٥) أد. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، طبع الحكماء للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص٢٤٩.

فالخُلق هيئة ثابتة للنفس: "وهو القوة المحركة للنفس لاختيار أفعالها في يسر وسهولة وبدون تفكير ولا روية، غير أنه في نفس كل إنسان قوى عديدة ووظائف مختلفة؛ ففي النفس قوة الإدراك وقوة التفكير وقوة الخيال، وفيها المشاعر والأحاسيس، والغرائز، وكل من هذه القوى تصدر عنها أفعالها في سهولة ويسر"[١].

ولكن هل نعتبر كل هذه القوى خُلُقا؟.

ويجيب "الإمام الأكبر الدكتور الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" فيقول: "بالطبع لا نستطيع أن نسمى هذه القوى أخلاقًا، ولكن إذا استطعنا أن نقسم القوى الداخلية للنفس الإنسانية إلى: العقل والمعرفة – المشاعر والعواطف – القصد والإرادة" [٢]. والخلق يتعلق بالقسم الثالث من هذه القوى؛ وهو جانب القصد والإرادة في الإنسان، دون جانب الشعور والعاطفة، والأفعال الإرادية عند الإنسان ليست كلها مما يدخل في ميزان الأخلاق وقيمها، بل يتعلق منها بمفهوم الأخلاق ما كان قابلًا لوصفه بالخير أو الشر؛ فالتعريف الدقيق للخلق – إذن– هو أنه: " عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة – عقلًا وشرعًا – سميت تلك الأفعال خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا " [٣].

وبعبارة أيسر: "الأخلاق قوة ثابتة في نفس الإنسان، تدفعه لأفعال إرادية: الأفعال الإرادية يمكن الحكم عليها بأنها خير أو شر" [٤].

ومن هذا التحديد لمفهوم الأخلاق تخرج أفعال الإنسان العقلية، وأعماله الإرادية العادية التي يصح فعلها ويصح تركها، يخرج كل ذلك من دائرة الأخلاق؛

(١) أد. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٤٩.
(٢) المصدر نفسه: ص٢٤٩.
(٣) المصدر نفسه: ص٢٥٠.
(٤) المصدر نفسه: ص٢٥٠.

فلا يحكم عليها بأنها خير أو شر، ولا يحكم على صاحبها بأنه أحسن أو أساء، أو أنه خير أو شر(١).

وقيل أن الخلق: "صفة مستقرة في النفس فطريّة أو مكتسبة ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة" (٢).

فالقيم الأخلاقيّة عبارة عن مجموعة المبادئ والمعايير الموجهة للأخلاق الحسنة، لتصبح صفة راسخة يمارسها الأفراد دون تكلّف أو عناء، فيألفونها، ويعتادون عليها في تعاملهم مع الآخرين.

والقيم الأخلاقيّة الإسلاميّة، هي: "المبادىء المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل المستمد من الإسلام، ليصبح سجية وطبعًا يتخلّق به، ويتعامل به مع الآخرين، لتكوين مجتمع إسلاميّ فاضل تسوده المحبة" (٣). والدين الإسلامي يدعو أفراده إلى التحلي بالأخلاق الحسنة: "فالدّين كلّه خُلُق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين" (٤).

وتعرف القيم الأخلاقية في المسيحية بأنها: "القوانين والمبادئ التي تربط الإنسان بمصدر حياته، أي بالله ليجد علاقتـه الصحيحة بالآخرين وبمحيطه"(٥).

ومن خلال التعريفات السابقة للقيم الأخلاقية يتضح أنها مجموعة من المبادئ والمعايير المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي لدى الأفراد في تعاملاتهم مع الغير في

(١) أد. أحمد الطيب: مقومات الإسلام: ص٢٥٠.
(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، نشر دار القلم، دمشق، ط ٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص١٠.
(٣) د. مانع بن محمد بن علي المانع: القيم الأخلاقية بين الإسلام والغرب، دار الفضيلة، الرياض السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٢٤.
(٤) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق، محمد علي النجار، دار إحياء التراث العربي، القاهرة مصر، ط٣،١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م، ج٢، ص٥٦٨.
(٥) جورج منزريدي: الأخلاق المسيحية، نقله إلى العربية الأب ميشال نجم، نشر مكتبة الكتب المسيحية، د.ت، ص ٢٧.

نشر قيم السلام والعدل والخير والجمال والأخوة الإنسانية، وهذا ما أكدته "وثيقة الأخوة الإنسانية": "ونَتَوجَّهُ للمُفكِّرينَ والفَلاسِفةِ ورِجالِ الدِّينِ والفَنَّانِينَ والإعلاميِّين والمُبدِعِينَ في كُلِّ مكانٍ ليُعِيدُوا اكتشافَ قِيَمِ السَّلامِ والعَدْلِ والخَيْرِ والجَمالِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المُشتَرَكِ، وليُؤكِّدوا أهميَّتَها كطَوْقِ نَجاةٍ للجَمِيعِ، وليَسعَوْا في نَشْرِ هذه القِيَمِ بينَ الناسِ في كلِّ مكان" (١).

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

المبحث الثاني

القيم الأخلاقية في الإنجيل والقرآن الكريم

هناك عدة أدلة من الإنجيل والقرآن الكريم، تدل دلالة واضحة على القيم الأخلاقية، والحث على الفضائل، والبعد عن الرذائل، نذكر منها:

أولًا : أدلة الإنجيل.

ذكر في الإنجيل عدة أدلة تدل دلالة واضحة على القيم الأخلاقية، والحث على الفضائل، والبعد عن الرذائل، فقد تحدث الإنجيل عن علاقة الإنسان مع أفراد المجتمع، ابتداءً بالأسرة، حيث نظّم علاقته مع والديه، وأقاربه، وزوجته، وأبنائه، وغير ذلك" [١]. فقد ورد في "رسالة بولس إلى أهل أفسس": "أكرم أباك وأمك التي هي أول وصية بوعد" [٢]. وورد أيضًا: "وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه" [٣].

فتعاليم "عيسى عليه السلام" الأخلاقية: "تخاطب الإنسان بالواجب المثاليّ الذي عليه أن يعمله ويتعامل به تجاه غير" [٤]. فالإنسان في الإنجيل هو المسؤول الأول عن أعماله وأفعاله، حيث ورد: "إنّ الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا"[٥].

ولقد دعا "عيسى عليه السلام" في الإنجيل إلى العديد من الأخلاق والمبادئ التي تحفظ للإنسان علاقته مع الآخرين، فقال: "فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ " [٦].

---

(١) د. فايز فارس: علم الأخلاق المسيحية، نشر دار الثقافة، القاهرة، د.ت، ج١، ص٦١
(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس ١٢: ٦.
(٣) رسالة بولس إلى أهل أفسس، ٣٣: ٥.
(٤) د. فايز فارس: علم الأخلاق المسيحية، ص٦١
(٥) رسالة بولس أهل غلاطية: ٦، ٧.
(٦) رسالة بطرس الأولى: ١،٢٢.

وقال: "إنّ مَن يحب الله يحب أخاه أيضًا" (١). وقال: "لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة؛ لأنّ المحبة تستر كثرة من الخطايا" (٢). وجاء في الإنجيل: "والمؤمن إنْ لم يُسامح، فهو يُنكر المسيح وإنجيله، وسيسري عليه ما جاز على العبد الرديء الذي سامحه سيده بالكثير، ولكنه رَفَضَ أن يُسامح مَن دانه بالقليل، فاستحقَّ على العبد العقاب حتى يُوفِي كل ما عليه" (٣). وجاء فيه أيضًا: " اَلصِّدِّيقُ يُبْغِضُ كَلاَمَ كَذِبٍ، وَالشِّرِّيرُ يُخْزِي وَيُخْجِلُ" (٤). و:" اَلشَّاهِدُ الأَمِينُ لَنْ يَكْذِبَ، وَالشَّاهِدُ الزُّورُ يَتَفَوَّهُ بِالأَكَاذِيبِ" (٥). كذلك: " لا تفتر الكذب على أخيك، ولا تختلقه على صديقك" (٦).

وهذه الأخلاقيات جميعها أكدته "وثيقة الأخوة الإنسانية"، حيث أكدت على مبدأ الأخوة والقيم والمحبة والسلام: "باسمِ الله الَّذي خَلَقَ البَشَرَ جميعًا مُتَساوِين في الحُقُوقِ والواجباتِ والكَرامةِ، ودَعاهُم للعَيْشِ كإخوةٍ فيما بَيْنَهم ليُعَمِّروا الأرضَ، ويَنشُروا فيها قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ" .

وتأكد "الوثيقة" أيضًا أن: "القناعةُ الراسخةُ بأنَّ التعاليمَ الصحيحةَ للأديانِ تَدعُو إلى التمسُّك بقِيَمِ السلام وإعلاءِ قِيَمِ التعارُفِ المُتبادَلِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المشترَكِ، وتكريس الحِكْمَةِ والعَدْلِ والإحسانِ" (٧).

(١) رسالة يوحنا الرسول الأولى: ٤، ٢١.
(٢) رسالة بطرس الأولى: ٤، ٨.
(٣) إنجيل متى: ١٨، ٢٣-٣٢.
(٤) سفر الأمثال: ١٣، ٥.
(٥) سفر الأمثال: ٥، ١٤.
(٦) سفر يشوع بن سيراخ: ٧، ١٣.
(٧) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

كما وردت ألفاظ مرادفة لمصطلح الأخلاق في الإنجيل، مثل: "الفضيلة، وهي من الفضل، وتعني: الإحسان والابتداء به بلا علة له، والفضيلة خلاف النقيصة والرذيلة، فهي الدرجة الرفيعة في حسن الخلق" (١).

ولقد ذكر الإنجيل مصطلح "الفضيلة" بمعنى الأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة في أربعة مواضع، ففي "رسالة بولس إلى أهل فيلبي" قال: "أخيرًا أيّها الإخوة كل ما هو حق، كلّ ما هو جليل، كلّ ما هو عادل، كلّ ما هو طاهر، كلّ ما هو مسر، كلّ ما صيته حسن، إن كانت فضيلة وإن كان مدح، ففي هذه افتكروا " (٢). وفي "رسالة بطرس الرسول الأولى" حيث قال: " لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (٣). وفي "رسالة بطرس الرسول الثانية" عندما قال: "كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة" (٤). وكذلك في موضع آخر من "رسالة بطرس الرسول الثانية"، فيقول: "قدموا في إيمانكم فضيلة، وفي الفضيلة معرفة" (٥).

ويركّز الإنجيل في الجانب الأخلاقيّ على نقاء القلب؛ وذلك لأنّه: "هو المعبّر عن حالة الإنسان النهائية إن كان صالحًا أو شريرًا" (٦). وهذا ما ورد في "إنجيل لوقا"، حيث قال: "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح، والإنسان

(١) وليم وهبه بباوي، و منيس عبد النور و فايز فارس و أندريه ذكي و أنور ذكي: دائرة المعارف الكتابية، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ج٦، ص٦١.
(٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي: ٤، ٨.
(٣) رسالة بطرس الأولى: ٢، ٩.
(٤) رسالة بطرس الثانية: ١، ٣.
(٥) رسالة بطرس الثانية: ١، ٥.
(٦) الأنبا باكوبوس: التدبير الداخلي في الحياة الروحية، سلسة البناء الروحي للفرد المسيحي، نشر كاتدرائية السيدة العذراء وماريوحنا الرسول بالزقازيق، مصر، ط١، يناير ٢٠٠٢م، ص١١٧.

الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر" [١]. يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان": " والكنيسة تنبِّه إلى ضرورة قول كلمة حق ورجاء، القيم الكبرى " [٢].

ويرى "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" أن بناء السلام من خلال اللاعنف من خلال القواعد الأخلاقية: " هو عنصر ضروري ويتطابق مع جهود الكنيسة المستمرّة للحدِّ من استعمال القوّة من خلال القواعد الأخلاقية، عبر مشاركتها في أعمال المؤسسات الدوليّة وبفضل المساهمة الكفؤة للعديد من المسيحيين في صياغة التشريعات على جميع المستويات " [٣].

وبهذا نجد أنّ الفضائل في الإنجيل عبارة عن قوة في النفس تمكّنها من الانتصار على كلّ نوازع الشر والاتصاف بالسلوك الحسن القويم، والأخلاق الحسنة.

(١) إنجيل لوقا: ٦، ٤٥. إنجيل متى: ١٢،٣٢.

(٢) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس فرح الحب من البابا فرنسيس إلى الأساقفة والكهنة والشماسة الإنجيليين والمكرسين، التقرير النهائي للسينودس، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٥م، ص١٣.

(٣) البابا فرنسيس: اللاعنف أسلوب سياسة من أجل السلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي الخمسين للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني، ٢٠١٧ م، ص٢ .

ثانيًا : أدلة القرآن الكريم.

من الحقائق التي اتفق عليها العقلاء، أن الرسل الكرام الذين أرسلهم خالقهم عز وجل إلى الناس، وقد جاءوا جميعًا برسالة واحدة في أصولها وفي جوهرها، ألا وهي: إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وغرس مكارم الأخلاق في النفوس، والدليل على ذلك أن كل نبي بعثه الله تعالى، إلى قومه، كانت الكلمة الأولى التي يقولها لهم يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ٥٩). يقول "القرطبي ت٦٧١هـ": " فنوح أول الرسل إلى الأرض بعد آدم عليهما السلام " [١]. ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ "أي ما لكم من إله إلا الله" [٢].

يقول "ابن كثير ت٧٧٤هـ": "شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء، عليهم السلام، الأول فالأولَ، فابتدأ بذكر نوح، عليه السلام، فإنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم، عليه السلام، وهو: نوح بن لامك بن متوشلح بن خَنُوخ" [٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾(الأعراف: ٦٥). وقال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (الأعراف: ٧٣). وقال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ج٧، ص٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ج٧، ص٢٣٣.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ج٣، ص٤٣١.

(الأعراف:٨٥). وقد أجمل القرآن الكريم هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وكذلك كل نبي بعثه الله تعالى إلى قومه، كانت الكلمة الثانية التي يقولها لقومه: هي دعوتهم إلى التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، هي التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن قبائحها، فهذا نبي الله "شعيب عليه السلام" يقول لقومه كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾(هود: ٨٤ – ٨٥). فأنت ترى أن نبي الله شعيبًا عليه السلام، بعد أن أمر قومه بإخلاص العبادة لله تعالى، نهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، وبين لهم العاقبة السيئة التي تترتب على هذه الأخلاق القبيحة.

كذلك الحال مع نبي الله هود عليه السلام، فقد دعا قومه بعد عبادة الله تعالى وحده إلى التحلي بمكارم الأخلاق، حيث كانوا قومًا مكابرين متطاولين، قال تعالى: ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ (الشعراء: ١٢٨– ١٣٥).

فهذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام، قد دعوا أقوامهم إلى إخلاص العبادة لله تعالى، وإلى اعتناق مكارم الأخلاق.

وهذا هو ما أكدته "وثيقة الأخوة الإنسانية، حيث بينت أن الله وحده هو الذي خلق البشر، وأن الواجب عليهم أن ينشر قيم الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ فقد جاء فيها: " باسمِ الله الَّذي خَلَقَ البَشَرَ جميعًا مُتَساوِين في الحُقُوقِ والواجباتِ والكَرامةِ، ودَعاهُم للعَيْشِ كإخوةٍ فيما بَيْنَهم ليُعَمِّروا الأرضَ، ويَنشُروا فيها قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلام".

وجاء فيها أيضًا: "إنَّ هَدَفَ الأديانِ الأوَّلَ والأهمَّ هو الإيمانُ بالله وعبادتُه، وحَثُّ جميعِ البَشَرِ على الإيمانِ بأنَّ هذا الكونَ يَعتَمِدُ على إلهٍ يَحكُمُه، هو الخالقُ الذي أَوْجَدَنا بحِكمةٍ إلهيَّةٍ، وأَعْطَانَا هِبَةَ الحياةِ لنُحافِظَ عليها، هبةً لا يَحِقُّ لأيِّ إنسانٍ أن يَنزِعَها أو يُهَدِّدَها أو يَتَصرَّفَ بها كما يَشاءُ، بل على الجميعِ المُحافَظةُ عليها منذُ بدايتِها وحتى نهايتِها الطبيعيَّةِ" (١).

وعند التأمل في حديث القرآن الكريم عن النبي محمد ﷺ، تجد آيات حافلة بالثناء عليه، وتعظيم شأنه، وحثِّ الناس على اقتفاء أثره، ومن جملة الآيات الكريمات التي عظَّم الله فيها مقام نبيه عليه الصلاة والسلام، قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم: ٤). يقول "القرطبي": "على خلق، على دين عظيم من الأديان" (٢).

لقد بين القرآن العظيم أن هذا النبي محمدًا ﷺ، قد صار خلقه متفقًا مع ما تنزَّلت به الآيات القرآنية، فخلقه صار سجيةً له بحسب ما تنزل به القرآن العظيم، فهو لا يجاوزه ولا يتعداه، ولا ينقص عما أمره الله به، ثم إنَّ الله جل وعلا أثنى أيضًا على هذا النبي الكريم في آيات أُخَر؛ كما في قوله سبحانه :﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.
(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٢٢٧.

فبيَّن الله جل وعلا أنَّ هذا النبي الكريم هو الأسوة الحسنة والقدوة الشريفة العظيمة التي ينبغي أن يتأسى بها أفراد الأمة جميعًا.

يقول "ابن كثير": "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي في صبره ومصابرته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل "(١).

وأثنى القرآن العظيم على النبي الكريم محمدٍ ﷺ، في موضع آخر، فقال ربنا جل وعلا :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). فوصفه الله بخلق الرحمة ولين الجانب، ونفى عنه ما يقابلهما من سوء الأخلاق؛ من الجفاء والغلظة والشدة التي تجعل النفوس تنفر عنه، فطُهِّر عليه الصلاة والسلام من ذلك، بل إن الله ألقى عليه من الجلال والبهاء والجمال والكمال، ما يجعل القلوب تقبل عليه، وهكذا من تأمل أخلاقه وسيرته، أقبل عليه وعظُم في قلبه، وجلَّ في شأنه؛ وذلك لأن أخلاقه إنما هي أخلاق ربانية جبَله الله عليها.

إن القرآن الكريم يرسخ في النفس الإنسانية، مكارم الأخلاق، من الصدق، والأمانة، والسخاء، والتواضع، والوفاء، والحياء، والعفة، والحلم، والصبر، والغيرة على الحرمات، وبر الوالدين والإحسان للمسنين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، والتعاون على البر والتقوى، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص٣٩١.

قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ (النساء:٣٦). وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(النحل: ٩٠). وقال تعالى:﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١). وقال تعالى:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٢).

وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨) يقول "القرطبي": "هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع" (١).

وهذا ما أكدت عليه "وثيقة الأخوة الإنسانية": فقد جاء فيها: القناعةُ الراسخةُ بأنَّ التعاليمَ الصحيحةَ للأديانِ تَدعُو إلى التمسُّك بقِيَمِ السلام وإعلاءِ قِيَمِ التعارُفِ المُتبادَلِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المشترَكِ، وتكريس الحِكْمَةِ والعَدْلِ والإحسانِ"(٢).

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص٢٥٥.
(٢) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

ومن الآيات الشاملة لمكارم الأخلاق والنهي عن الرذائل كما في قول الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٣ – ٧٤).

فقد حَرَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ، وَالْفَوَاحِشَ كَالزِّنَا، وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ تِلْكَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَبْدَانِ ظَاهِرًا، وَحَرَّمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ القتل، وشهادة الزور.

بل إن هناك عدة أحاديث تدل دلالة واضحة على القيم الأخلاقية، ونشر الفضائل بين البشرية جمعاء منها: أن النبي ﷺ قال: " إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا" (١).وعَنْ عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لَهَا :" إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ في الأَعْمَارِ " (٢).

(١) أخرجه الترمذي في صحيحه، حديث رقم ٢٠١٨، بإسناد حسن غريب.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم ٢٦٠٠١، بإسناد صحيح.

وعن عبدالله بن عمرو قال: " لَمْ يَكُنْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا ولَا مُتَفَحِّشًا، وإنَّه كانَ يقولُ: إنَّ خِيَارَكُمْ أحَاسِنُكُمْ أخْلَاقًا"(١).

ومن القيم الأخلاقية التي أجمعت عليها الشرائع السماوية كلها: العدل، والتسامح، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، والصدق في الأقوال والأفعال وبر الوالدين، وحرمة مال اليتيم، ومراعاة حق الجوار، والكلمة الطيبة، وعدم تطفيف الكيل أو الميزان، وذلك لأن مصدر التشريع السماوي واحد، ولهذا قال النبي المصطفى ﷺ: "الأنبياءُ إخوةٌ لعَلَّاتٍ؛ أمَّهاتُهُم شتَّى ودينُهُم واحد" (٢).

بل إن جميع الشرائع السماوية قد اتفقت وأجمعت على تقدير القيم الإنسانية السامية، ونبذ الأخلاق الذميمة، فمن خرج على ما أجمعت عليه الشرائع فإنه لم يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية، وينسلخ من آدميته.

فالأديان كلها أتت من أجل خير الإنسان وسعادة البشرية في العاجل والآجل، والقيم الدينية في كل حضارة كانت هي الأساس للقيم الأخلاقية السامية والمبادئ الإنسانية الرفيعة، وهذا ما أكدته "وثيقة الأخوة الإنسانية"، والحضارات التي لا تغنى بالقيم والأخلاق تحمل عوامل سقوطها مع لبنات بنائها.

(١) صحيح البخاري، ج٤، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم ٥٦٨٨، ص٢٢٤٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم ٤٣٢٤، وأحمد في مسنده ٩٦٣٠ باختلاف يسير، والحديث أسانيده صحيحة.

المبحث الثالث

القيم الأخلاقية في وثيقة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان

جاء في الوثيقة **ما نصه:** " باسمِ العَدْلِ والرَّحمةِ، أساسِ المُلْكِ وجَوْهَرِ الصَّلاحِ، باسمِ كُلِّ الأشخاصِ ذَوِي الإرادةِ الصالحةِ، في كلِّ بِقاعِ المَسكُونَةِ. **وجاء فيها أيضًا:**" ونَتَوجَّهُ للمُفكِّرينَ والفَلاسِفةِ ورِجالِ الدِّينِ والفَنَّانِينَ والإعلاميِّين والمُبدِعِينَ في كُلِّ مكانٍ ليُعِيدُوا اكتشافَ قِيَمِ السَّلامِ والعَدْلِ والخَيْرِ والجَمالِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المُشتَرَكِ، وليُؤكِّدوا أهميَّتَها كطَوْقِ نَجاةٍ للجَمِيعِ، ولِيَسعَوْا في نَشْرِ هذه القِيَمِ بينَ الناسِ في كلِّ مكان" (١).

تُؤكِّدُ هذه الوثيقةَ أنَّ العدلَ القائمَ على الرحمةِ هو السبيلُ الواجبُ اتِّباعُه للوُصولِ إلى حياةٍ كريمةٍ، يحقُّ لكُلِّ إنسانٍ أن يَحْيَا في كَنَفِه، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق الأخلاق، حيث تعتبر الأخلاق هي العنصر الرئيس الثابت في كل الأديان السماوية بلا استثناء، فهي لا تتبدل ولا تتغير بين الأديان الإلهية؛ فما أمر به الإسلام من أمهات الفضائل وما نهى عنه من الرذائل هو نفسه ما أمرت به ونهت عنه رسالات إبراهيم وموسى وعيسى وإخوانهم المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يقول " الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب": " يرتكز الدين الإسلامي على محاور ثلاثة هي: العقيدة، والأخلاق، والشريعة، وتعتبر الأخلاق العنصر الرئيس الثابت في كل الأديان السماوية بلا استثناء، ومن المعروف أن الشرائع السماوية تختلف بين الأديان، وأن اللاحق منها قد ينسخ السابق؛ وذلك حتى تتناسب كل شريعة مع العصر والبيئة التي يبعث فيها الرسول أو النبي، وبحيث تتلاءم مع حالة الناس ونظمهم المختلفة وطرائقهم في الحياة: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة:٤٨)، ولكن أصول العقيدة وأصول الأخلاق لا تتبدل ولا تتغير بين الأديان الإلهية؛ فما أمر به الإسلام من أمهات الفضائل وما نهى عنه من الرذائل هو نفسه ما أمرت به ونهت عنه رسالات إبراهيم وموسى وعيسى وإخوانهم المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" (١).

ويرى "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" إن الأخلاق والمبادئ لا تنفك عن الدين، فهي تظهر بصور مختلفة، ولغات مختلفة، فكونها تُقدَّم بلغة دينية، فذلك لا يُجردها من أية قيمة في النقاش العام، فيقول: " في الواقع، سيكون من السذاجة بمكان الاعتقاد بأن المبادئ الأخلاقية تطرح نفسها بصورة مجردّة تمامًا، ومنفصلة عن أي سياق، فكونها تُقدَّم بلغة دينية، فذلك لا يُجردها من أية قيمة في النقاش العام، إن بإمكان المبادئ الأخلاقية التي يستطيع العقل إدراكها أن تظهر باستمرار تحت صيغٍ أخرى، ويُعبّر عنها بلغات مختلفة، بما في ذلك الدينية" (٢).

وللأخلاق في الإسلام مكانة بالغة الأهمية: " فهي "الروح" التي تسري في كل تشريعاته؛ من عبادات ومعاملات ونظم وآداب، وهي الأصل الثابت في كل أحكامه وأوامره ونواهيه، سواء منها ما تعلق بالفرد أو بالأسرة أو بالمجتمع أو بالحكم أو بالعلاقات الدولية" (٣).

فرسالة الإسلام في جملتها ما جاءت إلا لتحقيق مكارم الأخلاق المتضمنة في شرع الله سبحانه وتعالى، يقول **النبي** ﷺ : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (٤). وفي موضع آخر يسوي **النبي** ﷺ بين الخلق الحسن وبين معنى الدين؛ فقد ورد في

(١) أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٦٣.
(٢) البابا فرنسيس: رسالة عامة بابوية كُنْ مُسَبَّحًا حول العناية بالبيت المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص٤٣.
(٣) أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٦٣.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (٨٩٥٢)، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

حديث مرسل أن رجلًا جاء إلى **النبي** ﷺ فقال يا رسول الله: أي العمل أفضل ؟ فقال الرسول ﷺ : " حسن الخلق" (١).

فالأخلاق في الأديان السابقة هي نفس ما أمر به الإسلام، فالدين الإسلامي ليس دينًا منفصلًا عن الأديان السماوية السابقة عليه؛ كالمسيحية واليهودية والإبراهمية: " نؤمن – نحن المسلمين– بأن الإسلام ليس دينًا منفصلًا عن الأديان السماوية السابقة عليه؛ كالمسيحية واليهودية والإبراهمية، بل يعلمنا القرآن أن الدين الإلهي دين واحد اسمه الإسلام؛ بمعنى الخضوع لله تعالى وعبادته، وإسلام الوجه إليه، وأن ما يسمى بالأديان في محادثاتنا هو: رسالات إلهية تشكل حلقات متصلة في سلسلة الدين الواحد" (٢).

ومن هنا وجدنا الإسلام يتفق مع الرسالات السابقة عليه في أصول العقائد وأمهات الأخلاق، ويرتبط بها ارتباطًا عضويًا؛ فالإيمان بالأنبياء والرسل السابقين وبما أنزل عليهم من الكتب السماوية جزء لا يتجزأ من إيمان المسلم بمحمد ﷺ، وبالقرآن، بل يحدثنا القرآن بأن ما شرعه الله من الدين لمحمد هو نفس ما شرعه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسي عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام، وهذا ما يفسر لنا انفتاح الإسلام على الأديان السماوية السابقة عليه وبخاصة المسيحية منها وغير ذلك مما نعلمه جميعًا ولا نحتاج إلى بيانه لشدة ظهوره ووضوحه "(٣).

يؤكد ذلك "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان " بكلمته التي ألقاها تجاه الآخرين وتجاه العالم، بأنه ينبغي علينا أن نكون في حاجة بعضنا البعض، وأن نكون صالحين، متمسكين بالأخلاق والقيم، وأنه لا سبيل غير ذلك، فيقول: " ينبغي أن نشعر مجدّدًا

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٥/٤) (١٩٤٥٤)،و أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي: تعظيم قدر الصلاة، تحقيق، د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ، (٨٧٨) عن أبي العلاء بن الشخير، مرسلًا، بنحوه.
(٢) أ. د. أحمد الطيب: السلام أولًا، ص١٣-١٤.
(٣) المصدر نفسه: ص١٤.

بأننا بحاجة بعضنا إلى بعض، وأنه تقع علينا مسؤولية تجاه الآخرين وتجاه العالم، وأنه أمر يستحقّ العناء أن نكون صالحين وصادقين، لقد عرفنا حقًا التدهور الأخلاقي لمدة طويلة، مستهزئين بالأخلاقيات، وبالصلاح، وبالإيمان، وبالصدق، وقد حانت السّاعة لندرك أن هذه الفرحة السطحيّة لم تخدمنا كثيرًا "(١).

يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب ": " إن الأديان السماوية ما نزلت إلا لترسم للإنسان طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وتعلمه قيم الرحمة والحق والخير، وأن الله كرمه على سائر الكائنات الأخرى، واتخذه خليفة له على الأرض، وحرم دمه وماله وعرضه " (٢).

ثم يقول مدافعًا عن الأديان السماوية، مخاطبًا كل من يتقول عليها بأنها تدعوا إلى إراقة الدماء واغتيال الحقوق: "وإذا سمعتم أو قرأتم أن دينًا من الأديان السماوية سمح بإراقة الدماء واغتيال الحقوق فاعلموا أن ها هنا تدليسًا في تصوير حقيقة هذا الدين" (٣).

ومن الأخلاقيات التي نادى بها "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" نشر المسؤوليّة والاحترام والحوار الصادق بين الأشخاص والشعوب، وعدم العنف والانتهاكات على النساء والأطفال، فيقول: " لا يمكن لأخلاقيات الأخوَّة والتعايش السلمي بين الأشخاص والشعوب أن يقوما على منطق الخوف والعنف والانغلاق، وإنما على المسؤوليّة والاحترام والحوار الصادق، بهذا المعنى أوجّه نداء لصالح نزع الأسلحة ولمنع وإلغاء الأسلحة النوويّة: إن الرادع النووي والتهديد بالدمار المتبادل الأكيد لا

(١) البابا فرنسيس: رسالة عامة بابوية كُنْ مُسَبَّحًا حول العناية بالبيت المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص٤٩.
(٢)أ. د. أحمد الطيب: السلام أولًا، ص١٣.
(٣) المصدر نفسه: ص١٣.

يمكنهما أن يؤسسا هذا النوع من الأخلاقيات، وبالتالي وبإلحاح مشابه أطلب أن يتوقف العنف المنزلي والانتهاكات على النساء والأطفال" [١].

في هذا النص يوجه "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" النداء لنزع الأسلحة، ومنع الأسلحة النووية، وعدم العنف والانتهاكات على النساء والأطفال، لأن من يستخدم العنف والانتهاكات ليس من القيم الأخلاقية في شيء.

فأساس المسؤولية الأخلاقية: "تستلزم أنّ الإنسان يقدر أن يعمل ما يختاره سواء خيرًا كان أو شرًا" [٢].

والإسلام يؤكد على الالتزام بالأخلاق في الوسيلة وفي الغاية معًا في أي مواقف المسئولية: "والمبدأ الذي يقول: "إن الغاية تبرر الوسيلة"، لا مكان له في النظام الأخلاقي في الإسلام؛ فالرذيلة ممنوعة في الإسلام حتى ولو ترتب عليها في النهاية تحقيق فضيلة من الفضائل، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾(الأنفال:٧٢). ففي الآية الكريمة أمر بنصرة المسلمين لإخوانهم المظلومين الذين يستغيثون بهم ضد أعدائهم، ولكن فيها –بعد ذلك– استثناء يقوم على أساس أخلاقي في مسألة الغاية والوسيلة؛ وبيان ذلك أن نصرة المسلمين لإخوانهم في الدين لو ترتب عليها "نقض العهد" مع الفريق الآخر من الكفار الظالمين؛ فإن النصرة هنا ممنوعة، والسبب في ذلك أن وسيلتها –وهي نقض العهد– نوع من

(١) البابا فرنسيس: اللاعنف: أسلوب سياسة من أجل السلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي الخمسين للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني، ٢٠١٧، ص١ .

(٢) جيمس أنِس: علم اللاهوت النظامي، تحقيق، منيس عبد النور، نشر الكنيسة الإنجيلية، القاهرة، د.ت، ص٩٣.

الخيانة، والإسلام يُحرم الخيانة مع الكافر حتى لو أدت هذه الخيانة إلى نصرة المسلمين" [١].

فالأخلاق الإسلامية تتميز بارتباطها بالدين والتقوى، يقول الله تعالى:" ﴿ فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(التوبة: ٤). فالوفاء بالعهد حتى مع المشرك نوع من التقوى يحبه الله تعالى، وفي الحديث: "لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له"[٢]. إذ الدين والخُلُقُ حقيقتان متمازجتان في النظام الإسلامي وفي كل الرسالات الإلهية لا تختلف فيها رسالة عن أخرى، فالأخلاق لها مكانة عظيمة في الإسلام: "فالدين هو الخُلق، وأن من غايات رسالة الإسلام إتمام مكارم الأخلاق"[٣].

وكما أن الأخلاق لها مكانة عظيمة في الإسلام، فإن لها مكانة عظيمة أيضًا في المسيحية، وهذا مأ كد عليه "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان، حيث قدّم لنا دليل عمل لهذه الاستراتيجية في بناء السلام في التطويبات الثمانية التي قال بها "عيسى عليه السلام": " طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ، طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ، طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ، طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ، اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ " [٤].

(١) أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٨٤- ٢٨٥.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم 12567، بسند حسن.
(٣) أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٨٥-٢٨٦.
(٤) إنجيل متى: ٥، ٣- ١٠.

يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" فهذه التطويبات الثمانية: " ترسم صورة الشخص الذي يمكن اعتباره طوباويًّا، صالحًا وصادقًا، طوبى للودعاء – يقول يسوع – وللرحماء، وصانعي السلام، وأنقياء القلوب، والجياع والعطاش إلى البرّ "(١). "مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ" (٢). "كُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ" (٣). "طُوبَى لِلَّذِينَ يَصْنَعُونَ وَصَايَاهُ لِكَيْ يَكُونَ سُلْطَانُهُمْ عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ، وَيَدْخُلُوا مِنَ الأَبْوَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لأَنَّ خَارِجًا الْكِلاَبَ وَالسَّحَرَةَ وَالزُّنَاةَ وَالْقَتَلَةَ وَعَبَدَةَ الأَوْثَانِ، وَكُلَّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا"(٤).

فهذه النصوص تدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق من الرحمة، ونشر السلام، والتصدق وإطعام الطعام للفقراء والمساكين.

ويبين " البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" أن أتباع عيسي عليه السلام يُعرفون بقربهم الشديد للفقراء والمساكين، فيقول: " يُعرف أتباع يسوع بقربهم مِن الفقراء والصغار والمرضى والسجناء، ومِن المستبعدين والمنسيين، ومِمّن يفتقر إلى الطعام واللباس" (٥).

وهذا ما أكدت عليه "وثيقة الأخوة الإنسانية" حيث أكدت على: "التقرب للفقراء والإحسان إليهم، واليتامى، والأرامل، والمُهَجَّرينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم، وغيرهم، فقد جاء فيها: "باسمِ الفُقَراءِ والبُؤَساءِ والمَحرُومِينَ والمُهمَّشِينَ الَّذين أَمَرَ اللهُ بالإحسانِ إليهم ومَدِّ يَدِ العَوْنِ للتَّخفِيفِ عنهم، فرضًا على كُلِّ إنسانٍ لا سيَّما كُلِّ مُقتَدِرٍ ومَيسُورٍ... باسمِ الأيتامِ والأَرامِلِ، والمُهَجَّرينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم،

(١) البابا فرنسيس: اللاعنف أسلوب سياسة من أجل السلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي الخمسين للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني، ٢٠١٧ م ، ص٢ .
(٢) إنجيل متى: ٥، ٤٢.
(٣) إنجيل لوقا: ٦، ٣٠.
(٤) سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: ٢٢،١٤-١٥.
(٥) البابا فرنسيس: المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي تعليم في شفاءِ العالم، منشورات مكتبة القصر البابوي، موقع الفاتيكان، الأربعاء ١٩ أغسطس آب ٢٠٢٠م، ص١.

وكُلِّ ضَحايا الحُرُوبِ والاضطِهادِ والظُّلْمِ، والمُستَضعَفِينَ والخائِفِينَ والأَسْرَى والمُعَذَّبِينَ في الأرضِ، دُونَ إقصاءٍ أو تمييز". كما أكدت الوثيقة أيضًا على: " أنَّ حمايةَ حُقوقِ المُسنِّين والضُّعفَاءِ وذَوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ والمُستَضعَفِينَ ضرورةٌ دِينيَّةٌ ومُجتمعيَّةٌ يَجِبُ العمَلُ على تَوفيرِها وحِمايتِها بتشريعاتٍ حازمةٍ وبتطبيقِ المواثيقِ الدوليَّة الخاصَّةِ بهم" (١).

فالتقرب إلى الفقراء والمُسنِّين والضُّعفَاءِ وذَوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ والمُستَضعَفِينَ والإحسان إليهم سببًا في نشر القيم الأخلاقية، فهناك حكمة خفية وراء ذلك كما يقول "البابا فرنسيس" بأنه: " يمكنهم بكلمات بسيطة أن يساعدونا في اكتشاف القيم التي لا نراها" (٢).

يوضح "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" في هذه النص أن التقرب للفقراء والمُسنِّين والضُّعفَاءِ وذَوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ والمُستَضعَفِينَ وذلك بالإحسان إليهم، يساعدنا على التحلي بمكارم الأخلاق، حيث إنهم يقولون لمن أحسن إليهم كلمات تحمل في سجاياها القيم الأخلاقية من الشكر والمدح وغير ذلك من الألفاظ التي من شأنها نشر القيم الأخلاقية.

إن الذي يفعل الخير ويتقرب للفُقَراءِ والبُؤَساءِ والمَحرُومِينَ والمُهمَّشِينَ الَّذين أَمَرَ اللهُ بالإحسانِ إليهم ومَدِّ يَدِ العَوْنِ للتَّخفِيفِ عنهم، والأيتامِ والأَرامِلِ، والمُهَجَّرينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم، وكُلِّ ضَحايا الحُرُوبِ والاضطِهادِ والظُّلْمِ، والمُستَضعَفِينَ والخائِفِينَ والأَسْرَى والمُعَذَّبِينَ في الأرضِ، دُونَ إقصاءٍ أو تمييز فإن ذلك من حسن الخلق، وهو يعادل التقوى، وهذا ما أكده "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" مبينًا أن: " الخلق الحسن يعادل التقوى في ميزان الحسنات

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

(٢) البابا فرنسيس: من قداسة البابا فرنسيس إلى الشبيبة وإلى كلّ شعب الله، لوريتو، قرب البيت المقدّس، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٥ مارس،آذار ٢٠١٩م، ص٢٦.

يوم القيامة" [١]. وفي ذلك يقول النبي محمد ﷺ: " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن" [٢]. وأقرب الناس مجلسًا من الرسول ﷺ يوم القيامة وأحبهم إلى قلبه الشريف صاحب الخلق الحسن: " إن من أحبكم إلى أحسنكم أخلاقًا " [٣]. وحسن الخلق شرط للفوز بالجنة والنجاة من النار، فقد قيل للنبي ﷺ: يا رسول الله إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها فقال رسول الله ":ﷺلا خير فيها، هي من أهل النار" [٤].

ومما يدل على رفعة وسمو مكانة الأخلاق في الإسلام أن القرآن الكريم وهو يمتدح النبيﷺ قال له:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). فاختيار الأخلاق لتكون عنوانًا على مدح النبي ﷺ وتعظيمه يدل على مكانتها العليا عند الله تعالى" [٥]. فالدين هو الخُلُقُ، وأن من غايات رسالة الإسلام إتمام مكارم الأخلاق [٦].

ولقد أشاد "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" بجهود ودور "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" في نشر القيم الأخلاقية بين البشرية جمعاء فيقول: " إننا وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، لا نتجاهل التقدّم الإيجابي الذي حدث في العلوم والتكنولوجيا والطبّ والصناعة والرفاهية، وخاصّة في البلدان المتقدّمة، "فإنَّا – مع ذلك– نُسجِّلُ أنَّ هذه القَفزات التاريخيَّةَ الكُبرى والمَحمُودةَ تَراجَعَتْ معها الأخلاقُ الضَّابِطةُ للتصرُّفاتِ الدوليَّةِ، وتَراجَعَتِ القِيَمُ الرُّوحِيَّةُ والشُّعُورُ بالمَسؤُوليَّةِ؛ ممَّا أسهَمَ في نَشْرِ شُعُورٍ عامٍّ بالإحباطِ والعُزْلَةِ واليَأْسِ، وهناك أماكنُ أُخرَى يَجرِي

(١) أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٦٤.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في الأدب المفرد (٢٧٠، ٤٦٤) وأبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في الأدب المفرد (٣٧٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في الأدب المفرد (١١٩) وابن حبان في الصحيح، الإحسان (٥٧٦٤) والحاكم في "المستدرك " ١٦٦/٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٦٥.
(٦) المصدر نفسه: ص٢٨٦.

إعدادُها لمَزيدٍ من الانفجارِ وتكديسِ السِّلاح وجَلْبِ الذَّخائرِ، في وَضْعٍ عالَمِيٍّ تُسيطِرُ عليه الضَّبابيَّةُ وخَيْبَةُ الأملِ والخوفُ من المُستَقبَلِ، وتَتحكَّمُ فيه المَصالحُ الماديَّةُ الضيِّقة " [١].

بل يؤكد "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" بأن العمل الأخلاقي هو دور كل سياسي أو رجل دين، وغير ذلك ممن يمضون في طريق المهام الاجتماعية، فيقول: "إذا قرأتم تاريخ البشرية ستجدون العديد من السياسيين القديسين الذين مضوا بهذا الطريق، ذلك ممكن بقدر ما يسعى كلّ مواطن، ولا سيما من يتحمل التزامات ومهام اجتماعية وسياسية، فيُرسّخ أفعاله الخاصة على المبادئ الأخلاقية ويُنعشها بالمحبة الاجتماعية والسياسية" [٢].

ومن القيم الأخلاقية التي أوصت بها "وثيقة الأخوة الإنسانية": " الاعترافَ بحَقِّ المرأةِ وحِمايتُها أيضًا من الاستغلالِ الجنسيِّ ومن مُعامَلتِها كسِلعةٍ أو كأداةٍ للتمتُّعِ والتربُّحِ؛ لذا يجبُ وقفُ كل المُمارَساتِ اللاإنسانية والعادات المُبتذِلة لكَرامةِ المرأةِ"[٣].

فالاعترافَ بحَقِّ المرأةِ وحِمايتُها، حققته شريعة الإسلام يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب ": " فالمرأة في شريعة الإسلام شريكة الرجُلِ في الحقوق والواجبات، وبتعبير نبي الإسلام محمد ﷺ: "النساء شقائق الرجال" [٤]، ولا تظنوا – أيها السادة –: أن ما عانته المرأة الشرقية –ولازالت تعانيه– سببه تعاليم الإسلام،

(١) البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية ، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص٦. وينظر: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١.

(٢) البابا فرنسيس: المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي تعليم في شفاءِ العالم، منشورات مكتبة القصر البابوي، موقع الفاتيكان، الأربعاء ١٩ أغسطس آب، ٢٠٢٠م، ص١.

(٣)أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم (٢٣٦)، والترمذي في سننه حديث رقم (١١٣)، من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها وقال الحافظ ابن حجر في موافقة الخبر الخبر ٢-٢٦: حديث حسن.

فهذا زعم باطل، والصحيح أن هذه المعاناة إنما لحقتها بسبب مخالفة تعاليم الإسلام الخاصة بالمرأة، وإيثار تقاليد عتيقة وأعراف بالية، وتقديم كل ذلك على أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بحقوق المرأة شؤنها بوجه خاص " (١).

وهنا تَظهَرُ ضرورةُ الأُسرَةِ: " كنواةٍ لا غِنى عنها للمُجتمعِ وللبشريَّةِ، لإنجابِ الأبناءِ وتَربيتِهم وتَعليمِهم وتَحصِينِهم بالأخلاقِ وبالرعايةِ الأُسريَّةِ، فمُهاجَمةُ المُؤسَّسةِ الأسريَّةِ والتَّقليلُ منها والتَّشكيكُ في أهميَّةِ دَوْرِها هو من أخطَرِ أمراض عَصرِنا " (٢). وذلك لأن التفكك الأسري يؤثر على نقل القيم والأخلاق بين البشرية، وفي ذلك يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان": "إن التفكك الأسري ... يؤثّر على نقل القيم، لأن الأسرة كانت وما زالت دائمًا المؤسّسة الاجتماعية التي ساهمت أكثر من غيرها في الحفاظ على ثقافاتنا" (٣).

إنَّ حُقوقَ الأطفالِ الأساسيَّةَ في التنشئةِ الأسريَّةِ، والتغذيةِ والتعليمِ والرعايةِ، واجبٌ على الأسرةِ والمجتمعِ" (٤).

وتنتقل القيم الأخلاقية من الأجداد إلى الأحفاد ولذلك وجب على الجميع أن يحافظوا على المسنين الذين ينقلون هذه القيم الأخلاقية وذلك لأن: "الأجداد هم مَن يقومون بنقل القيم الكبيرة إلى أحفادهم والعديد من الأشخاص يعترفون بأنهم قد تلقوا التنشئة على الحياة المسيحية من أجدادهم، فكلامهم ولمساتهم، أو مجرد وجودهم يساعد الأطفال على معرفة أن التاريخ لا يبدأ معهم، وأنهم ورثة رحلة طويلة، وأنه

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، بتاريخ ٥ من جمادى الآخرة، ١٤٣٧هـ، ١٥ من مارس، ٢٠١٦م، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص١٥-١٦.

(٢) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

(٣) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس الأمازون الحبيب من الأب الأقدس فرنسيس إلى شعب الله وإلى جميع الأشخاص ذوي الإرادة الطبية، نشر أوسيرفاتوري رومانو، الطبعة الإيطالية، منشورات موقع الفاتيكان، ٢١ يناير، كانون الثاني، ٢٠١٨، ص٣، ص٦.

(٤) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

من الضروري احترام الخلفية التي تسبقنا، أولئك الذين يقطعون العلاقات مع التاريخ سوف يجدون صعوبة في نسج علاقات مستقرة والاعتراف بأنهم ليسوا أسياد الواقع، بالتالي، الاهتمام بالمسنين هو الذي يصنع اختلاف حضارة عن الأخرى، فهل هناك اهتمام بالمسنين في الحضارة ؟. وهل هناك مكان للمسنّ ؟. بوسع تلك الحضارة أن تتقدم إذا عرفت أن تحترم حكمة ومعرفة المسنين" (١).

بل من الضروري القيام بإنضاج هذه القيم الأخلاقية التي يكتسبها الأطفال من الكبار والأجداد، يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان": فالتصرفات التي يكتسبها الأطفال يكون لها أيضًا دور إيجابي، لأنها تساعد على ترجمة القيم المستبطنة الكبيرة إلى سلوكيات خارجية صحيحة ومستقرة، فقد يكون لدى شخص مشاعر اجتماعية وحسن تصرف تجاه الآخرين، إنما إذا لم يعتاد، تحت تأثير إصرار الكبار، أن يردد عبارات مثل: "من فضلك"، "بعد إذنك"، و"شكرًا" فإن استعداده الداخلي لن يُترجم بسهولة إلى هذه العبارات، إن تقوية الإرادة وتكرار بعض التصرفات يشكّلان السلوك الأخلاقي، لدرجة أنه يصبح من غير الممكن إتمام التربية، في هذا الاتجاه، بدون التكرار الواعي والحر والمُشجِع" (٢).

بل أحيانًا تُسفر التنشئة الأخلاقية عن الشعور بالازدراء بسبب تجارب التخلي، وخيبة الأمل، والحرمان العاطفي، أو بسبب صورة الأهل السيئة، فيقوم الشخص بإسقاط الصور المشوهة لشخصية الأب أو الأم أو لتقصير البالغين، على القيِّم الأخلاقية: "ولهذا السبب يجب مساعدة المراهقين لتطبيق مبدأ التماثل: فالقيم يتمُّ عيشها بشكل خاص من قِبل أشخاص مثاليين للغاية، لكنها تتحقق بشكل غير كامل وبدراجات متفاوتة، في الوقت عينه، تُحتِم مقاومة الشباب، والتي ترتبط بتجارب

(١) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس فرح الحب من البابا فرنسيس إلى الأساقفة والكهنة والشماسة الإنجيليين والمكرسين، التقرير النهائي للسينودس، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٥م، ص٤١.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٩.

سلبية، واجبَ مساعدتهم لمتابعة مسيرة علاج لعالمهم الداخلي الجريح هذا، حتى يتمكنوا هكذا من الوصول إلى التفاهم والمصالحة مع الأشخاص الآخرين وبالتالي المجتمع" (١).

وهذا ما أكدت عليه الوثيقة حيث جاء فيها: "إنَّنا نُؤكِّدُ أيضًا على أهميَّةِ إيقاظِ الحِسِّ الدِّينيِّ والحاجةِ لبَعْثِه مُجدَّدًا في نُفُوسِ الأجيالِ الجديدةِ عن طريقِ التَّربيةِ الصَّحِيحةِ والتنشئةِ السَّليمةِ والتحلِّي بالأخلاقِ والتَّمسُّكِ بالتعاليمِ الدِّينيَّةِ القَوِيمةِ لمُواجَهةِ النَّزعاتِ الفرديَّةِ والأنانيَّةِ والصِّدامِيَّةِ، والتَّطرُّفِ والتعصُّبِ الأعمى بكُلِّ أشكالِه وصُوَرِه" (٢).

ويقترح "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" أن تنتشر القيم الأخلاقية بشكل تدريجي، وبطرق مختلفة، لمصلحة الفرد والمجتمع: " يجب أن يتم هذا بشكل تدريجي، وأن نتقدم بطرق مختلفة ووفقًا للسن ولإمكانيات الشخص الحقيقية، دون الادعاء بتطبيق منهجيات جامدة وغير قابلة للتغيير " (٣).

يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب ": " ولنا أن نعتبر بما يجري في حضارتنا التي نعيشها الآن، وكيف أن الشعوب والدول تعاني من تدمير منظم، وإبادة لا أخلاقية للإنسان والحيوان والجماد، والنبات، على مسمع ومرأى من أمم ودُول في الشرق والغرب، تتغنى بالتقدم والرقي، ولكن دون أن تشعر بأي حرج أو تأنيب من الضمير " (٤).

(١) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس فرح الحب من البابا فرنسيس إلى الأساقفة والكهنة والشماسة الإنجيليين والمكرسين، التقرير النهائي للسينودس، ص٥٩.
(٢) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.
(٣) البابا فرنسيس: الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس فرح الحب من البابا فرنسيس إلى الأساقفة والكهنة والشماسة الإنجيليين والمكرسين، التقرير النهائي للسينودس، ص٥٩.
(٤) أ. د. أحمد الطيب: من أجل السلام، ص١٣.

وتجدر الإشارة إلى أن أهمَّ أسبابِ أزمةِ العالمِ اليَوْمَ يَعُودُ إلى تَغيِيبِ الضميرِ الإنسانيِّ وإقصاءِ الأخلاقِ الدِّينيَّةِ [١]. ولا يسعنا إلّا أن نقول إنّ الرغبة والسعي وراء خير الآخرين والبشرية جمعاء تعني أيضًا السعي إلى نضوج الأفراد والمجتمعات على مستوى القيم الخُلُقية المختلفة التي تقود إلى تنمية بشرية متكاملة [٢].

ثم يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان": " دعونا نعود إلى تعزيز الخير، من أجل أنفسنا ومن أجل البشرية جمعاء، فنسير بالتالي معًا نحو نموّ حقيقي وشامل، فكلّ مجتمع يحتاج إلى ضمان انتقال القيم، لأنه إذا لم تُنقَل القِيم، فسوف تُنقل الأنانية والعنف والفساد بأشكاله المختلفة، واللامبالاة، وفي نهاية المطاف تُنقَل حياةٌ مغلقة أمام كلّ سموّ، ومسيّجة بالمصالح الفرديّة [٣].

وهذا ما أكد عليه "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب " حيث بين للمواطنين المسلمين في أوربا أن يعو جيدًا أنهم مواطنون أصلاء في مجتمعاتهم، وأن المواطنة الكاملة لا تتناقض مع الاندماج الذي يحافظ على الهوية الدينية، ويضرب المثال بذلك بأنموذج وثيقة المدينة المنورة، فيقول: " أدعو المواطنين المسلمين في أوربا أن يعو جيدًا أنهم مواطنون أصلاء في مجتمعاتهم، وأن المواطنة الكاملة لا تتناقض مع الاندماج الذي يحافظ على الهوية الدينية، ولكم – أيها المسلمون الأوربيون – في أنموذج المدينة المنورة بقيادة رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، حيث أُسسَت وثيقةُ المدينةِ، وهي أول دستور عرفته الإنسانية، على مبدأ المواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين المختلفين دينًا وعرقًا " [٤].

(١) البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية ، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص٥٠.
(٢) البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية، ص٢١.
(٣) المصدر نفسه: ص٢١.
(٤) أ. د. أحمد الطيب: رأي في حوار الشرق والغرب ، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص١٨.

إن هدف الحوار هو إقامة الصداقة والسلام والوئام: "ومشاركة القيم والخبرات الخُلُقية والروحية بروح من الحقيقة والمحبّة" (١). نحتاج نحن المؤمنين "إلى إيجاد مساحات للتحدّث والعمل معًا من أجل الخير العام ومساعدة الفقراء' ونحن المؤمنين، نرى أننا مدفوعون للعودة إلى أصولنا حتى نركّز على ما هو أساسي: عبادة الله ومحبّة القريب، حتى لا تتوصّل بعض جوانب عقائدنا، خارج سياقها، إلى تغذية أشكال من الاحتقار والبغض وكراهية الأجانب، وإنكار الآخر(٢).

الحقيقة هي أنه لا أساس للعنف في المعتقدات الدينية الجوهرية بل في تشوّهاتها، إنّ عبادة الله الصادقة والمتواضعة: "لا تؤدّي إلى التمييز والكراهية والعنف، بل إلى احترام قدسيّة الحياة، واحترام كرامة الآخرين وحرّيتهم، والالتزام المحبّ تجاه الجميع" (٣).

وليس من الأخلاقيات ما يفعله الإرهابَ البَغِيضَ الذي يُهدِّدُ أمنَ الناسِ، سَواءٌ في الشَّرْقِ أو الغَرْبِ، وفي الشَّمالِ والجَنوبِ، ويُلاحِقُهم بالفَزَعِ والرُّعْبِ وتَرَقُّبِ الأَسْوَأِ ليس من الأخلاق في شيء، يقول "البابا فرنسيس": " إن الإرهابَ البَغِيضَ الذي يُهدِّدُ أمنَ الناسِ، سَواءٌ في الشَّرْقِ أو الغَرْبِ، وفي الشَّمالِ والجَنوبِ، ويُلاحِقُهم بالفَزَعِ والرُّعْبِ وتَرَقُّبِ الأَسْوَأِ، ليس نِتاجًا للدِّين – حتى وإنْ رَفَعَ الإرهابيُّون لافتاتِه ولَبِسُوا شاراتِه - بل هو نتيجةٌ لتَراكُمات الفُهُومِ الخاطئةِ لنُصُوصِ الأديانِ وسِياساتِ الجُوعِ والفَقْرِ والظُّلْمِ والبَطْشِ والتَّعالِي؛ لذا يجبُ وَقْفُ دَعْمِ الحَرَكاتِ الإرهابيَّةِ بالمالِ أو بالسلاحِ أو التخطيطِ أو التبريرِ، أو بتوفيرِ الغِطاءِ الإعلاميِّ لها، واعتبارُ ذلك من

(١) أ. د. أحمد الطيب: رأي في حوار الشرق والغرب ، ص٤٨.
(٢) المصدر نفسه: ص٥١.
(٣) البابا فرنسيس: خطاب البابا إلى المشاركين في الاجتماع الدولي من أجل السلام برعاية جماعة سانت إيجيديو ٣٠ أيلول، سبتمبر ٢٠١٣م، أوسيرفاتوري رومانو باللغة الفرنسية ٣تشرين الأول أكتوبر ٢٠١٣م، ص١٦. وينظر: البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص٥١.

الجَرائِمِ الدوليَّةِ التي تُهدِّدُ الأَمْنَ والسِّلْمَ العالميَّين، ويجب إدانةُ ذلك التَّطرُّفِ بكُلِّ أشكالِه وصُوَرِه [١].

يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب": "إن الإرهابيين الذين يمارسون جرائمهم باسم الأديان لا يمثلون هذه الأديان، بل هم – في حقيقة الأمر– خائنون لأمانات الأديان التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، إن الأديان إنما تُفهم من تعاليمها الإلهية، ومن تطبيقات الأنبياء الذين حملوا هذه التعاليم وبلغوها للناس ودعوهم إليها، هكذا كانت رسالة سيدنا محمد، وهكذا كانت رسالة سيدنا عيسي وسيدنا موسى، وكل رسالات السماء إلى البشر، ثم إن هذا الإرهاب الذي نعانيه جميعًا الآن أدانه العالم الإسلامي كله؛ شعوبًا وحكومات وأزهر وكنائس وجامعات ومفكرين ومثقفين وغيرهم، وتكررت هذه الإدانات مع كل حادث إرهابي في الشرق أو الغرب، ولكم تنادينا بأن نقف جميعًا –مسلمين وغير مسلمين– صفًا واحدًا لمجابهة التطرف والإرهاب والظلم بجميع أشكاله، وأن نبذل أقصى ما يمكن بذله من أوجه التعاون من أجل القضاء على هذا الوباء القاتل" [٢].

كذلك من الأخلاقيات والقيم، الحفاظ على دور العبادة من مَعابِدَ وكَنائِسَ ومَساجِدَ، حيث تُؤكِّدُ الوثيقة على: " أنَّ حمايةَ دُورِ العبادةِ، من مَعابِدَ وكَنائِسَ ومَساجِدَ، واجبٌ تَكفُلُه كُلُّ الأديانِ والقِيَمِ الإنسانيَّةِ والمَوَاثيقِ والأعرافِ الدوليَّةِ، وكلُّ محاولةٍ للتعرُّضِ لِدُورِ العبادةِ، واستهدافِها بالاعتداءِ أو التفجيرِ أو التهديمِ، هي خُروجٌ صَرِيحٌ عن تعاليمِ الأديانِ، وانتهاكٌ واضحٌ للقوانينِ الدوليَّةِ " [٣].

(١) البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية ، ص٥٢. وينظر: البابا فرنسيس: عظة خلال القداس الإلهي، كولومبو – سريلانكا، ١٤ كانون الثاني، يناير ٢٠١٥م، أوسيرفاتوري رومانو باللغة الفرنسية، ١٥ كانون الثاني، يناير ٢٠١٥م، ص٤.

(٢) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص١٨-١٩.

(٣) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

لقد حث الشرع الشريف على المحافظة على دور العبادة وحمياتها سواء أكانت للمسلمين أم لغيرهم وهذا بنص القرآن الكريم: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(الحج:٤٠). يقول "القرطبي": "فالصَّوَامِعُ لِلرُّهْبَانِ، وَالْبِيَعُ لِلنَّصَارَى، وَالصَّلَوَاتُ لِلْيَهُودِ، وَالْمَسَاجِدُ لِلْمُسْلِمِينَ" (١). .

إن الإسلام قد وجب حماية دُور العبادة من مَعابِدَ وكَنائِسَ ومَساجِدَ، وذلك لأن هذه الأماكن كلها يُذكر فيها اسم الله كثيرًا، والمحافظة على دُور العبادة المختلفة من مساجد وكنائس ومعابد من صميم المحافظة على هوية ديننا ومبادئه وأخلاقه، فالإسلام هو الذي سوى بين حق المسلم وغير المسلم في الحفاظ على دُور العبادة المختلفة وعدم المساس بها، وسلامة دُور العبادة من سلامة أمن المواطن، وبتحقيق الأمن للمواطن وسلامة مقدساته يتحقق أمن الوطن وسلامته، وهذا ما يسعى الإسلام لتحقيقه عبر الزمان .

وكيف لا وقد أعطى النبي ﷺ لنصارى نجران جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم: " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، ولا يُغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا شيء مما كانوا عليه ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين"(٢).

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الحج الآية ٤٠، ج١٢، ص٧٢ .
(٢) القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، صاحب الإمام أبي حنيفة: كتاب الخراج، اقترح عليه إنشاءه وتصنيفه كبير ملوك الأرض في عصره هارون الرشيد أمير المؤمنين، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص٧٢.

ولَمَّا قَدِمَ وَفْدُ نصارى نَجْرَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عام الوفود دَخَلُوا عَلَيْهِ مَسْجِدَهُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فقال بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ: ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجد رسول الله ﷺ فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ: " دَعُوهُمْ، فَاسْتَقْبَلُوا الْمَشْرِقَ، فَصَلَّوْا صَلَاتَهُمْ"(١).

فإذا كان النبيﷺ قد أقر صلاة وفد نصارى نجران عام الوفود في مسجده وفي حضرته، فهذا تطبيق عملي لقوله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٦). وهذا إقرار ضمني بوجوب المحافظة على كنائسهم، وعدم التعرض لها بأي نوع من أنواع الأذى، وفي هذا أيضًا إظهار للأخلاق المحمدية العالية فيما يجب على المسلم أن يتعامل به مع غير أهل ملته من احترامهم واحترام شعائرهم ودُور عبادتهم.

ونقول لمن يخالفون هذه الأخلاق الإسلامية العالية، ويتعرضون بالأذى لعباد الله تعالى من غير المسلمين ودور عبادتهم بحجة الانتماء إلى الدين الإسلامي: هل أنتم أشد حرصًا على الدين وغيرة عليه من رسول الله محمدﷺ، الذي كلفه ربه بالرسالة وحمل الأمانة ؟! بالطبع لا، وإذا كانت هذه أخلاق رسول الله محمدﷺ في التعامل مع غير المسلمين فمن أين أتيتم بهذه الغلظة والفظاعة والتحجر في معاملاتكم مع هؤلاء ؟! إن هذا لبعيد كل البعد عن أخلاق الإسلام ورسوله الكريمﷺ.

إن الاعتداء على دُور العبادة المختلفة، واستباحة دم المتعبدين فيها وقتلهم فساد وإفساد، وبعيد كل البعد عن منهج الإسلام ومقاصده؛ لأن من مقاصده العامة حفظ النفس، أيًا كانت هذه النفس .

(١) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ج٥، جماع أبواب غزوة تبوك، بَابُ وَفْدِ نَجْرَانَ وَشَهَادَةِ الْأَسَاقِفَةِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ، ص٣٨٢.

فالمعتقدات الدينية فيما يتعلّق بالمعنى المقدّس للحياة البشرية تسمح لنا بالاعتراف بالقيم الجوهرية للإنسانية المشتركة، وباسم هذه القيم، يمكننا ولا بد لنا من أن نتعاون، ونبني ونتحاور، ونغفر وننمو، فنسمح لمختلف الأصوات بأن تلحّن نشيدًا نبيلًا ومتناغمًا، بدل صرخات متعصبّة من الكراهية (١).

إن الأخوة الإنسانية غاية نبيلة فهي تهدف إلى السلام والأمن والأمان وحفظ دور العبادة وعدم الاعتداء عليها.

ويتذكر "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" اللقاء الأخوي الذي كان بينه وبين "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب"، حينما أعلنا أنَّ الأديانَ لم تكُنْ أبَدًا بَرِيدًا للحُرُوبِ أو باعثةً لمَشاعِرِ الكَراهِيةِ والعداءِ والتعصُّبِ، أو مُثِيرةً للعُنْفِ وإراقةِ الدِّماءِ، فيقول: " في ذلك اللقاء الأخويّ الذي أتذكّره بفرح، مع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، أعلنّا "– وبحَزم – أنَّ الأديانَ لم تَكُنْ أبَدًا بَرِيدًا للحُرُوبِ أو باعثةً لمَشاعِرِ الكَراهِيةِ والعداءِ والتعصُّبِ، أو مُثِيرةً للعُنْفِ وإراقةِ الدِّماءِ، فهذه المَآسِي حَصِيلَةُ الانحِرافِ عن التعاليمِ الدِّينِيَّة، ونتيجةُ استِغلالِ الأديانِ في السِّياسَةِ، وكذا تأويلاتُ طائفةٍ من رِجالاتِ الدِّينِ - في بعض مَراحِلِ التاريخِ (٢).

فالإسلام وإن كان يشير إلى جوامع الأخلاق وأمهات الفضائل في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠). وقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (الإسراء: ٥٣) وفي مثل قولهﷺ: " اتق الله

(١) البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية ، ص٥٢. وينظر: خطاب البابا إلى المشاركين في الاجتماع الدولي من أجل السلام برعاية جماعة سانت إيجيديو ٣٠ أيلول، سبتمبر، ٢٠١٣م، أوسيرفاتوري رومانو باللغة الفرنسية، ٣تشرين الأول، أكتوبر، ٢٠١٣م، ص١٦.

(٢) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢. وينظر: البابا فرنسيس: رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية، ص٥٢.

حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن " [١]. وقوله ": "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم " [٢]. إلا أنه لم يقتصر في توجيهاته على هذا التعميم، بل فصل وأسهب في بيان أصناف الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة، والقرآن الكريم والسنة المطهرة ينبهان في هذا الصدد على سلسلة طويلة مفصلة من الفضائل والرذائل يمكن أن تفرد لها مؤلفات مستقلة "[٣].

لقد أدى البعد عن الله والانغماس في العالم الافتراضي والانفصال الأسري: " انفصالًا عن القيم الثقافية والدينية " [٤].

بل إن هناك علاقة وثيقة بين البيئة والأخلاق، فالتدهور الأخلاقي الإنساني ينتج تدهورًا بيئيًا: " يظهر واضحًا أن التدهور البيئيّ والتدهور الإنسانيّ والأخلاقي هما مرتبطان ارتباطًا وثيقًا فيما بينهما، وقد يدعي الكثيرون أنهم لا يدركون أن الأعمال التي يقومون بها غير أخلاقية، لأن التشتت المستمر يسلب منّا شجاعة الوعي بواقِعِ عالمٍ محدودٍ وزائل" [٥].

ولذلك يوجه "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" كلمة لأبناء دينه من المسلمين، ممن يعيشون في أوربا وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من النسيج الأوروبي الاجتماعي المتماسك فيقول: " عليكم أن تراعوا القِيَم العُليَا لمجتمعاتهم التي تعيشون على أرضها، وأن تفيدوا منها في تقديم صورة مماثلة عن الإسلام وتعاليمه السمحة

(١) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (١٩٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح. وينظر: أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٨٣.
(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٧٩٨) والحاكم في المستدرك: ٦٠/١، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وقال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين. أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٨٣.
(٣) أ. د. أحمد الطيب: مقومات الإسلام، ص٢٨٤.
(٤) البابا فرنسيس: من قداسة البابا فرنسيس إلى الشبيبة وإلى كلّ شعب الله، لوريتو، قرب البيت المقدّس، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٥ مارس/آذار ٢٠١٩م، ص١٣.
(٥)البابا فرنسيس: رسالة عامة بابوية كُنْ مُسَبَّحًا حول العناية بالبيت المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م، ص١٣.

الجميلة، التي تحترم الآخر، بغض النظر عن دينه أو مِلَّته أو جنسه، وأن تكونوا على ذكر دائم لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨). فكيف بالذين فتحوا لكم أبواب بلادهم ووفروا لكم وسائل العيش الكريم، والتعايش المشترك، وضمنوا لكم حرية العقيدة وحرية الرأي والتعبير، إنهم لأحق وأجدر بأن تبروهم وتقسطوا إليهم وتمدوا إليهم يد العون والمودة والعرفان بالجميل [١].

وكم وددت لو أن كل مسلم يعيش في أوروبا كتب هذه الآية في لوحة جميلة ووضعها على مكتبه أو متجره، أو على شاشة هاتفه النقال، ليتذكَّر وصية القرآن في أنَّ البِرَّ الذي هو قِمَّة الأدب والإحسان مع الوالدين، مطلوب مع من يسالمنا ولا يقاتلنا، وأن القسط والعدل والوفاء هو خُلق المسلم مع أخيه في الإسلام وأخيه في الإنسانية سواء بسواء [٢].

إذن من خلال ما سبق اتضح لنا عدة جوانب من القيم الأخلاقية في وثيقة الأخوة الإنسانية، تتمثل في بيان هَدَفَ الأديانِ الأوَّلَ والأهمَّ وهو الإيمانُ بالله وعبادتُه، وحَثُّ جميعِ البَشَرِ على الإيمانِ بأنَّ هذا الكونَ يَعتَمِدُ على إلهٍ يَحكُمُه، وهو الخالقُ الذي أَوْجَدَنا بحِكمةٍ إلهيَّةٍ، وأَعْطَانَا هِبَةَ الحياةِ لنُحافِظَ عليها، هبةً لا يَحِقُّ لأيِّ إنسانٍ أن يَنزِعَها أو يُهَدِّدَها أو يَتَصرَّفَ بها كما يَشاءُ، كما أكدت الوثيقة أيضًا على التحلي بمكارم الأخلاق، والتي تتمثل في العدلَ القائمَ على الرحمةِ، وَنشر قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلام، ونَشْرِ الأخلاقِ والفَضائلِ العُلْيَا التي تدعو إليها الأديانُ، وتَجنُّبَ الجَدَلِ العَقِيمِ، والتأكيد على حمايةَ حُقوقِ المُسنِّين، والضُّعفَاءِ، وذَوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ، والمُستَضعَفِينَ، ضرورةٌ دِينيَّةٌ ومُجتمعيَّةٌ، كما أكدت الوثيقة على نشر قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ، والمسؤوليّة والاحترام، والحوار الصادق

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص١٤-١٥.
(٢) المصدر نفسه: ص١٥.

بين الأشخاص والشعوب، وعدم العنف والانتهاكات على النساء، والاعترافَ بحَقِّ المرأةِ وحِمايتُها والأطفال، وإلى التقرب للفقراء والإحسان إليهم، واليتامى، والأرامل، والمُهَجَّرينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم، وغيرهم الأيتامِ والأَرامِلِ، والمُهَجَّرينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم، وكُلِّ ضَحايا الحُرُوبِ والاضطِهادِ والظُّلْمِ، والمُستَضعَفِينَ والخائِفِينَ والأَسْرَى والمُعَذَّبِينَ في الأرضِ، دُونَ إقصاءٍ أو تمييز.

كذلك أيضًا من القيم الأخلاقية، التعايش السلمي وقبول الآخر، حيث إنَّ الحوارَ والتفاهُمَ ونشرَ ثقافةِ التسامُحِ وقَبُولِ الآخَرِ والتعايُشِ بين الناسِ، من شأنِه أن يُسهِمَ في احتواءِ كثيرٍ من المشكلاتِ الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة التي تُحاصِرُ جُزءًا كبيرًا من البَشَرِ، وهذا ما سنتحدث عنه في الصفحات المقبلة بإذن الله تعالى.

الفصل الثالث

التعايش السلمي وقبول الآخر

من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية

الفصل الثالث

التعايش السلمي وقبول الآخر من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية

لقد جاء في الوثيقة ما نصه: "باسمِ الشُّعُوبِ التي فقَدَتِ الأَمْنَ والسَّلامَ والتَّعايُشَ، وحَلَّ بها الدَّمارُ والخَرَابُ والتَّناحُر". ولقد أكدت الوثيقة على: أنَّ الحريَّةَ حَقٌّ لكُلِّ إنسانٍ: اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا ومُمارَسةً، وأنَّ التَّعدُّدِيَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لمَشِيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ البشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا تَتَفرَّعُ عنه حُقُوقُ حُريَّةِ الاعتقادِ، وحريَّةِ الاختلافِ، وتجريمِ إكراهِ الناسِ على دِينٍ بعَيْنِه أو ثقافةٍ مُحدَّدةٍ، أو فَرْضِ أسلوبٍ حضاريٍّ لا يَقبَلُه الآخَر" . كما أكدت الوثيقة أيضًا على: " أنَّ الحوارَ والتفاهُمَ ونشرَ ثقافةِ التسامُحِ وقَبُولِ الآخَرِ والتعايُشِ بين الناسِ، من شأنِه أن يُسهِمَ في احتواءِ كثيرٍ من المشكلاتِ الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة التي تُحاصِرُ جُزءًا كبيرًا من البَشَرِ" [1].

ويتضح الجانب الأخلاقي في هذه النصوص من وثيقة الأخوة الإنسانية بشي من التفصيل من خلال المباحث الآتية:

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك،ص١-٢.

المبحث الأول

مفهوم التعايش السلمي

أولًا : التعايش السلمي في المدلول اللغوي.

جاء في "لسان العرب": "العيش الحياة، وعايشه أي عاش معه، والعيشة ضرب من العيش، يقال عاش عيشة صدق وعيشة سوء" (١). ومعنى تعايشوا: " أي عاشوا على الألفة والمودة، ومنه: التعايش السلمي، والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل" (٢).

والسلْمُ: "المسالم، تقول: أنا سلم لمن سالمني، وقوم سِلم وسَلم: مسالمون، والسلم: الاستسلام، والتسالم: التصالح، والمسالمة: المصالحة" (٣).

ثانيًا : التعايش السلمي في المدلول الاصطلاحي.

يعرف مفهوم التعايش السلمي في المدلول الاصطلاحي بعدة تعريفات منها:-

التعايش السلمي هو: "مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس، من مختلف الأعراق، والأجناس، والأديان، منسجمين مع بعضهم البعض، ولا يتطلب أدنى فكرة للتعايش سوى أن يعيش أعضاء هذه الجماعات معًا دون أن يقتل أحدهم الآخر"(٤).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٢١.
(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، نشر دار الفكر، القاهرة، ط٢، د.ت، ج٢، ص٦٣٩-٦٤٠.
(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص٢٩٣.
(٤) أنطونيا تشايز ومارثا ميناو: تخيل التعايش معًا تجديد الإنسانية بعد الصراع الأثني العنيف، ترجمة، فؤاد السروجي، راجعه، محمود الزواوي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٩.

ويفهم من هذا النص أن التعايش السلمي هو القبول بوجود الآخر، والعيش معه جنبًا إلى جنب، دون سعي لإلغائه أو الإضرار به، سواء كان هذا الآخر فردًا، أو طائفة دينية، أو دولة مجاورة، أو غير ذلك.

فسواء كان جارك يعجبك أو لا، فليس هناك سوى حل واحد، هو إيجاد مجال للتفاهم معه، لأنه ليس لنا سوى هذا الكوكب وهو لنا جميعًا (١).

والتعايش السلمي: " يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، كما يعني اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما" (٢).

ويفهم من هذا التعريف أن التعايش السلمي لا يقوم فقط بين الدول وإنما بين الشعوب أيضًا، وهنا تكمن الأهمية والضرورة معًا، بصورة أعمق وهي: "علاقة الشعوب بعضها ببعض" (٣).

وهذا ما أكدته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) حينما حثت على ضرورة تعايش الأجيال الحاضرة مع أجيال المستقبل، في ظل أجواء يسودها السلام والأمان، واحترام حقوق الإنسان، والحقوق الأساسية، وترى أن على الأجيال الحاضرة تجنيب أجيال المستقبل المعاناة الناجمة من الحروب من خلال الحيلولة دون تعرضهم للأضرار الناجمة عن النزاعات المسلحة، ووضع الصيغ المناسبة التي تحد من استخدام الأسلحة ضد المبادئ الإنسانية (٤).

---

(١) نيكيتا خرشوف: التعايش السلمي كما أفهمه، تعريب، نجده هاجر ، وسعيد الغز، نشر مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط١، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م، ص ١١.

(٢) عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار من أجل التعايش، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص ٧٧-٧٨.

(٣) فرانسوا شاتليه: إيديولوجيات الحرب والسلم، ترجمة، جوزف عبد الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ،١٩٨١م، ص٥.

(٤) عدنان نصراوين: اليونسكو ومهمة بناء حصون السلام في عقول البشر، مطبعة الدستور التجارية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ٥-٦.

ويعرف التعايش السلمي أيضًا: "بأنّه سياسة خارجية، تنتهجها الدولة المحبة للسلام، وتستند إلى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفتها وسيلة لفض المنازعات، وتعاون الدولة مع غيرها من الدول لاستغلال الإمكانيات المادية، والطاقات الروحية، استغلالاً يكفل تحقيق أقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية" (١).

فالتعايش السلمي بين الأشخاص والشعوب: " يقوم على المسؤوليّة والاحترام والحوار الصادق" (٢).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن التعايش السلمي يقوم على ثلاث مستويات:

المستوى الأول: سياسي، ويعني الحد من الصراع، أو التحكم في إدارة الصراع، بما يفتح قنوات للاتصال بين الطرفين.

المستوى الثاني: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب، فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية.

المستوى الثالث: ديني وثقافي وحضاري، وهو الأحدث، ويشمل تحديدًا معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري، ويعني أن تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية، والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون" (٣).

---

(١) حسين فهمي مصطفى، التعايش السلمي ومصير البشرية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٦٨م، ص٢٢.

(٢) البابا فرنسيس: اللاعنف: أسلوب سياسة من أجل السلام، رسالة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي الخمسين للسلام، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠١٧ م،ص٥.

(٣) عبد العزيز التويجري: الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرباض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص٨-٩.

ولعل المستوى الثالث هو الأقرب معنى إلى بحثنا حيث إن "وثيقة الاخوة الإنسانية" أكدت على: " أنَّ الحوارَ والتفاهُمَ ونشرَ ثقافةِ التسامُحِ وقَبُولِ الآخَرِ والتعايُشِ بين الناسِ، من شأنِه أن يُسهِمَ في احتواءِ كثيرٍ من المشكلاتِ الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة التي تُحاصِرُ جُزءًا كبيرًا من البَشَرِ " (١).

هذا عن مفهوم التعايش السلمي بين المدلول اللغوي والاصطلاحي، تبين من خلالهما أن التعايش السلمي يطلق ويراد به الألفة والمودة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب، والاستسلام، والتسالم، والتصالح، والمسالمة المصالحة، وهذا هو ما نجده في المدلول الاصطلاحي، فالتعايش السلمي بين الأشخاص والشعوب يقوم على المسؤوليّة والاحترام والحوار الصادق، وقبول وجود الآخر، والعيش معه جنبًا إلى جنب، دون سعي لإلغائه أو الإضرار به، سواء كان هذا الآخر فردًا، أو حزبًا سياسيًا، أو طائفة دينية، أو دولة مجاورة، أو غير ذلك.

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك،ص١-٢.

المبحث الثاني

التعايش السلمي في الإنجيل والقرآن الكريم

هناك عدة أدلة من الإنجيل والقرآن الكريم، تدل دلالة واضحة على التعايش السلمي بين الأشخاص والشعوب، وأن هذا التعايش يقوم على المسؤوليّة والاحترام والحوار الصادق، وقبول وجود الآخر.

أولًا: أدلة الإنجيل.

ذكر في الإنجيل عدة أدلة تدل على التعايش والسماحة، وقبول الآخر منها ما ورد في إنجيل "لوقا": " لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ " [(١)]. وجاء في الإنجيل أيضًا: "عِيشُوا بِالسَّلاَمِ، وَإِلهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلاَمِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ "[(٢)]. وقد جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية: "إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ"[(٣)]. وقد جاء في الكتاب المقدس: "حِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ، اطْلُبِ السَّلاَمَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا"" [(٤)].

إن المتتبع للكتاب المقدّس، ولاسيما عبر كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يجده أنه يذكّر الضمائر والشعوب بعهد الله مع البشرية، أي أن نتخلّى عن الرغبة بالسيطرة على الآخرين، ونتعلّم أن ننظر إلى بعضنا البعض كأشخاص، وكإخوة لله، لا يجب أن نسجن الآخر في أقواله، أو أفعاله، ولكن يجب أن نعتبره وفقًا للوعد الذي يحمله في ذاته، وسوف نتمكّن، فقط عبر اختيار طريق الاحترام، من سحق دوّامة الانتقام والشروع في مسيرة الرجاء.

---

(١) إنجيل لوقا: ٦،٢٧-٣٠.
(٢) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: ١٣، ١١.
(٣) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل رومية: ١٢، ١٨.
(٤) سفر المزامير: ١٤،٣٤ .

يقول "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" إن طريق المصالحة هذا: " يدعونا إلى أن نستمدّ من أعماق قلوبنا قوّة المغفرة والقدرة على الاعتراف بأننا إخوة وأخوات، وأن نتعلّم العيش في المغفرة، يزيد من قدرتنا على أن نصبح نساء ورجال سلام"(١).

ويتحدث "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" عن السلام والعيش المشترك، لكلّ أسرة، لكلّ جماعة، لكلّ بلد، لكلّ قارّة، في تفرّدهم وفي تاريخهم فيقول: " وهو قبل كلّ شيء لكلّ شخص، دون تفرقة أو تمييز، وهو أيضًا بيتنا المشترك، الكوكب الذي وضعنا الله فيه لنسكنه والذي دُعينا للاعتناء به بكلّ اهتمام، ويقول: وفي ذلك يقول يسوع لتلاميذه حين أرسلهم في مهمّة: "أَيَّ بَيتٍ دَخَلتُم، فقولوا أَوَّلاً: السَّلامُ على هذا البَيت، فإن كانَ فيهِ ابنُ سَلام، فسَلامُكُم يَحِلُّ بِه، وإلاَّ عادَ إِلَيكُم" (٢). فمنحُ السلام هو محور رسالة تلاميذ المسيح، وهذه الهبة تتوجّه لجميع الذين، من رجال ونساء، يَرجون السلام وسط مآسي تاريخ البشريّة، فالبيت الذي يتكلّم عنه يسوع إنما هو كلّ أسرة، كلّ جماعة، كلّ بلد، كلّ قارّة، في تفرّدهم وفي تاريخهم؛ هو قبل كلّ شيء كلّ شخص، دون تفرقة أو تمييز، هو أيضًا بيتنا المشترك، والكوكب الذي وضعنا الله فيه لنسكنه، والذي دُعينا للاعتناء به بكلّ اهتمام" (٣).

ويرى "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" أن السلام في الواقع نتيجة لمشروع كبير يقوم على أساس المسؤوليّة المتبادلة والترابط بين البشر، وهو تغيير القلب والروح، ويبين أنه من السهل التعرّف على ثلاثة أبعاد لا يمكن الفصل بينها في هذا السلام الداخليّ والمجتمعيّ وهما: "السلام مع الذات: عبر رفض التشدّد والغضب ونفاد الصبر، وقليل من العذوبة تجاه الذات، كي نقدّم بعض العذوبة للآخرين. والسلام

(١) البابا فرنسيس: الأخوّة الأساس والطريق للسلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي السابع والأربعين للسلام الأول، ص٤.
(٢) إنجيل لوقا: ١٠، ٥- ٦.
(٣) البابا فرنسيس: السلام كمسيرة رجاء حوار ومصالحة وتوبة بيئيّة، رسالة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠٢٠ م، ص٥.

مع الآخر: القريب، الصديق، الدخيل، الفقير، المتألّم؛ فنتجاسر على اللقاء ونصغي إلى الرسالة التي يحملها معه. والسلام مع الخليقة: فنعيد اكتشاف عظمة هبة الله وقدر المسؤوليّة الواقعة على عاتق كلّ واحد منّا، بصفته أحد سكّان العالم، وكمواطن وعامل للمستقبل "[١].

إننا بحاجة إلى أن ننظر إلى المدينة التي نعيش فيها أيضًا نظرة تأمّلية، تعزّز التضامن، والأخوّة، والتوق للخير، والحقّ، والعدل، وبعبارة أخرى، فتحقّق الوعد بالسلام [٢].

فجميعنا نرغب بالسلام؛ والعديد من الأشخاص يبنونه يوميًّا بواسطة أعمال صغيرة، وكثيرون يتألّمون ويحتملون بصبر تعب العديد من المحاولات لبنائه [٣].

ثانيًا: أدلة القرآن الكريم.

لقد تحدث القرآن الكريم عن العدل والإحسان، وعدم الظلم، في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٨). وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠).وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ

(١) البابا فرنسيس: السلام كمسيرة رجاء حوار ومصالحة وتوبة بيئيّة ص٥.
(٢) البابا فرنسيس: السياسة الصالحة هي في خدمة السلام، رسالة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠١٩ م، ص٧.
(٣) البابا فرنسيس: اللاعنف: أسلوب سياسة من أجل السلام، رسالة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي الخمسين للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠١٧ م، ص٩.

يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾(الممتحنة: ٨).

ووجه الدلالة من هذه الآيات: "أن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بالعدل مع الناس جميعًا، حتى وإن كانوا مخالفين في الفكرة والمنهج، كما أمر الله سبحانه وتعالى بحسن معاملة أهل الديانات الأخرى، سواء كانوا من أهل الكتاب أم من غيرهم، وذلك ببرهم أي: الإحسان إليهم، بل وفوق ذلك درجة، وهي ﴿ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ أي تعطوهم قسطًا من أموالكم على وجه الصلة والمودة " (١).

هذا ولقد أسس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لفلسفة إسلامية متميزة في رؤية الكون والحياة والعلاقات بين الأحياء، وهذه العلاقة بين البشر على اختلاف أديانهم تنطلق من رؤية فلسفية، تقوم على مجموعة من الأسس، منها:

١- سنة الاختلاف.

إن التنوع والتعدد والاختلاف، هو سنة كونية في سائر عوالم المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وهذه التعددية هي في إطار وحدة الأصل الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، فالإنسانية التي خلقها الله من نفس واحدة، تتنوع إلى شعوب وقبائل وأمم وأجناس وألوان، وثقافات وحضارات في إطار المشترك الإنساني الواحد، الذي لا تختلف فيه الثقافات، كما تتنوع إلى عادات وتقاليد وأعراف متمايزة حتى داخل الحضارة الواحدة، بل والثقافة الواحدة " (٢).

وهذا ما أكدت عليه "وثيقة الاخوة الإنسانية": " أنَّ الحريَّةَ حَقٌّ لكُلِّ إنسانٍ: اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا ومُمارَسةً، وأنَّ التَّعدُّدِيَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٨، ص٥٤.
(٢) أ.د. محمد عمارة: فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي، مجلة حراء اسطنبول، شركة إيشك للنشر، اسطنبول، السنة الثالثة، عدد٩، أكتوبر – ديسمبر ، ٢٠٠٧م، ص٥٤.

والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لمَشِيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ البشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا تَتَفرَّعُ عنه حُقُوقُ حُريَّةِ الاعتقادِ، وحريَّةِ الاختلافِ، وتجريمِ إكراهِ الناسِ على دِينٍ بعَيْنِه أو ثقافةٍ مُحدَّدةٍ، أو فَرْضِ أسلوبٍ حضاريٍّ لا يَقبَلُه الآخَر"(١).

يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" مبينًا طبيعة القرآن الكريم في تقرير مبدأ التعددية، وسنة الاختلاف بين الناس، والتي ترتب عليها قَانُونَ العَلاقَة الدَّوليَّة في الإسلام، وهو قانون "التَّعَارُف" الذي يَسْتَلزم بالضَّرورَة مبدأ الحوار مع من نتفق ومن نختلف معه، فيقول: " إن التعَدُّديَّة بينَ النَّاس واختلافُهم دينًا ولغةً ولونًا وعرقًا طبيعة قرَّرها القُرآن الكَريم، ورتَّب عليها قَانُونَ العَلاقَة الدَّوليَّة في الإسلام، وهو قانون "التَّعَارُف" الذي يَسْتَلزم بالضَّرورَة مبدأ الحوار مع من نتفق ومن نختلف معه، وهذا ما يَحتاجه عالَمُنا المُعاصِر الآن؛ للخروج من أزماته الخانقة، ومن هنا كان من الصعب على المسلم أن يتصوَّر صَبَّ النَّاس والأُمَم والشعوب في دين واحد أو ثقافة واحدة؛ لأن مشيئة الله قضت أن يخلق الناس مختلفين حتى في بصمات أصابعهم، يقول القرآن: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾ (هود:١١٨) والمؤمن بالقرآن لا يرتاب في أنه ليس في إمكان قوَّة ولا حضارة أن تُبدِّل مَشِيئة الله في اختلاف النَّاس، وأن هذه النَّظَريَّات الَّتي تبشرنا بجمع الناس على دين واحد أو ثقافة مركزية واحدة نظرته إلى أحلام يقظة، أو خيال يداعب أحلام الطفولة" (٢).

وَمِنْ هُنَا: " كان من الطبيعي والمنطقي أن ينفتح الإسلام على المسيحيين واليَهُود انفتاحًا لافتًا للنظر، ويمد معهم من جسور العيش المُشْتَرك والسَّلام المُتبادَل، ما يصل إلى إقرار زواج المُسْلِم من مَسِيحيَّة أو يَهُوديَّة تبقى على دينها

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.
(٢) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص١٦-١٧.

مع زوجها المُسْلِم، ولا يجوز لزوجها المسلم أن يحول بينها وبين الذِّهاب إلى كنيستها أو مَعْبَدها، أو يمنعها من مُمَارسة شعائرها في بيت زوجها المسلم" (١).

وهذا التنوع والاختلاف سنة من سنة الله عز وجل، فالإسلام يسوي بين الناس جميعًا، يقول "الإمام الأكبر أحمد الطيب": " إن الإسلام يسوي بين الناس جميعًا في الحقوق والواجبات، وأول هذه الحقوق هو حق الاختلاف، فالله تعالى خلق الناس مختلفين قال تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٨ – ١١٩) " (٢). والمعنى: " أي للاختلاف خلقهم" (٣).

وإذا كان الاختلاف مشيئة إلهية في خلق الناس لا راد لها، فإن العلاقة بين المختلفين – فيما يقرر الإسلام– هي علاقة التعارف والاتقاء والتعاون على البر والتقوى، والسلام هو مقتضى علاقة التعرف ولازِمُها الأول (٤).

٢- الاختلاف في الدين.

مادام أن الاختلاف سنة من سنن هذا الكون، فإنه من المستحيل أيضًا أن يتفق البشر جميعًا في الأفكار والتصورات، فضلًا عن الدين، ومعلوم أن الإسلام: " دين يقوم على الاعتراف الإيجابي بالآخر، وإقراره على معتقده ودينه، ولقد تضافرت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة النبوية، مقررة هذا المبدأ الحضاري، فتكرر في القرآن الكريم لفظ "الدين" في أكثر من ستين موضعًا تأكيدًا على اعتراف

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص١٦-١٧.
(٢) أ. د. أحمد الطيب: حديث في السلام، ص١٦.
(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ص١١٤.
(٤) أ. د. أحمد الطيب: حديث في السلام، ص١٦.

الإسلام بالآخر، ولعل أوضح النصوص القرآنية التي تؤصل لهذا المبدأ، قول الله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ الكافرون: ٦)" [١].

بل إن هناك عدة أحاديث تدل دلالة واضحة على التعايش السلمي، بين البشرية جمعاء منها: أن النبي ﷺ نهى عن إيذاء أهل الكتاب وظلمهم بأي شكل كان، فعنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍ رَضي الله تَعَالَى عنهُما عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " منْ قتَلَ مُعاهِدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عَامًا" [٢]. وروى أبو داوود بسند صحيح عنِ النَّبِيِّ قَالَ: أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [٣].

(١) قطب سانو: فن التواصل مع الآخر معالم وضوابط ووسائل، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني نحن والآخر، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب من قتل معاهداً بغير جرم، حديث رقم ٣١٦٦، ص٩٩.

(٣) سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود: سنن أبو داود، نشر المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،د.ت، كتاب الخراج والإمارة والفيء، ج٣، باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم ٣٠٥٢، ص١٧٠.

المبحث الثالث

التعايش السلمي في وثيقة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان

أولًا : مبادئ التعايش السلمي من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية.

إن التعايش وقبول الآخر بين أهل الأديان، ينبغي أن ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، في المجالات ذات الاهتمام المشترك، وفيما يمس حياة الإنسان، وهذا ما أكد عليه "الإمام الأكبر أحمد الطيب"، و"البابا فرنسيس" في وثيقة الأخوة الإنسانية، ووجه الناس إليه:" فالحوارَ والتفاهُمَ ونشرَ ثقافةِ التسامُحِ وقَبُولِ الآخَرِ والتعايُشِ بين الناسِ، من شأنِه أن يُسهِمَ في احتواءِ كثيرٍ من المشكلاتِ الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة التي تُحاصِرُ جُزءًا كبيرًا من البَشَرِ "(١).

ولقد أكدت "الوثيقة" على عدة مبادئ للتعايش السلمي بين الناس جميعًا، منها:

١- احترام كرامة الإنسان من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية.

فقد أثبت التشريع الحضاري الكرامة الإنسانية للناس، بصرف النظر عن الدين والعرق واللون، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠). وهذه الكرامة هي التي تضمن للناس جميعًا حقهم في الحياة والعقيدة والعلم والعيش، هي للناس جميعًا.

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر - البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

وهذا المبدأ أكدت عليه وثيقة الأخوة الإنسانية، حيث أكدت على احترام كرامة الناس، واحترام حرياتهم، واعتقادهم، بصرف النظر عن الدين والعرق واللون، فقد جاء في الوثيقة: " أنَّ الحريَّةَ حَقٌّ لكُلِّ إنسانٍ: اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا ومُمارَسةً، وأنَّ التَّعدُّدِيَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لمَشِيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ البشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا تَتَفرَّعُ عنه حُقُوقُ حُريَّةِ الاعتقادِ، وحريَّةِ الاختلافِ، وتجريمِ إكراهِ الناسِ على دِينٍ بعَيْنِه أو ثقافةٍ مُحدَّدةٍ، أو فَرْضِ أسلوبٍ حضاريٍّ لا يَقبَلُه الآخَر" (١).

فكرامة الإنسان لا تنفكُّ عن إنسانيته، فهي كرامة ذاتية أصلية غير مقصورة على إتباع دين، أو عرق، أو لون بعينه، وقد سعت كثير من الأديان إلى إعطاء هذه الكرامة أبعادًا عَقَدِيَّة تتصل بخصوصية العطاء الإلهي، الذي جاء هبةً من الله للإنسان دون قيد أو شرط، ومن النصوص التأسيسية التي جاءت لتؤكد هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠). يمكننا أن نلحظ في هذه الآية ثلاثة مظاهر لتكريم الله للإنسان، وهي: تسخير الْبَرِّ والبحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من خلق الله، وهذه ثلاث مظاهر خارجية للتكريم، يقابلها مظاهر ثلاثة داخلية تتمثل بنفخة الروح الإلهية، والعقل القادر على تحصيل المعرفة، وحرية الإرادة والاختيار.

ويتحدث الكتاب المقدس عن تكريم الله تعالى للإنسان، حيث جاء في المزامير: "جعَلتَهُ أدنَى قلِيلًا مِنَ الملائِكةِ إِلَى حِينٍ، ثمَّ كلَّلتهُ بالمَجدِ والكرامَةِ،

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر - البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.

وأعطَيتَهُ السُّلطَةَ عَلَى كلِّ مَا صنعَتهُ يَداكَ، أَخضَعتَ كُلَّ شيءٍ تَحتَ قدميهِ. الغنم والبقرَ وجَمِيعَ المَوَاشِي، ووُحُوشَ البَرِيَّةِ أَيضًا" (١).

وفي مقابل هذه الكرامة "الأصلية" التكوينية التي يشترك فيها الناس جميعًا، هناك نوع آخر من الكرامة "العملية" السلوكية التي تقبل التفاضل والتسابق بين الناس، وهي المتضمَّنة في ما جاء في الإنجيل: " فَإِن طَهَّر أَحَدٌ نفسَهُ مِن هذِهِ، يكُونُ إِناءً لِلكَرامَةِ، مُقدَّسًا، نافِعًا لِلسيِّدِ، مُستعدًّا لكُلِّ عمَل صَالحٍ" (٢).

وقريب من هذا المضمون الروحي العملي الذي يتحصَّل للإنسان بالطهارة والتزكية، يتحدث القرآن الكريم عن الإكرام الإلهي الذي يتحصل للإنسان بالتقوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات:١٣). فالآية الكريمة تتحدث عن تكريمٍ تنافسيٍّ يقوم على غايتين اثنتين، هما "التعارف" و"التقوى"، وعلى قدر ما يجتهد الإنسان في تحصيل هاتين الغايتين، فإنه ينال التكريم الإلهي.

وهذا ما عبر عنه "عيسى عليه السلام" في حديثه عن كرامة الكائن البشري، في مركز تعليمه للإنسان في الأخلاق: "طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ، طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ " (٣).

والكرامة الإنسانية هي غاية الحياة الإنسانية، أي الأفق الذي يدعو إلى التقدم نحوه، كتطلّب مستمر للنمو، ودعوة متجدّدة للتطور، فبإمكاننا اعتبار الكرامة الإنسانية إحساس يلزمنا أن نحترم الإنسان بكلّيتهِ كونه كائن إنساني، مهما كانت حياته، وفي أي وقت كان، ومهما كان مظهره البشري الخارجي سواء كان جميلًا أو قبيحًا، وكذلك نعتبر هذه الحياة بأنها تستحق أن نحياها وإنه لا أحد بإمكانه

(١) المزامير: ٨، ٥-٧.
(٢) تيموثاوس: ٢: ٢١.
(٣) إنجيل متى: ٥، ٧-١٠.

الحكم على قيمتها، فعند احترام الحياة الإنسانية يظهر أساس وجود أي مجتمع وإستمراريته في الحياة كمجتمع إنساني .

فالكرامة الإنسانية تجعل الإنسان قيمة بحدِّ ذاته، فبحسب مقولة "كانط": "افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك، وفي شخص كل إنسان سواك، باعتبارها دائما وفي الوقت نفسه غاية في ذاتها، ولا تعاملها أبدًا كما لو كانت مجرد وسيلة "(١).

فيجب عليّ أن أتدرب في حياتي على إحترام الآخر كما هو، حتى ولو إستوجب الأمر أن استفيد من طاقاته، فهو في حقي اللجوء إليه، فالآخر هو وحده الذي يتيح لي في العالم أن أعبّر بواسطته عن ذاتي، تحقيقًا لما أبتغي الوصول إليه، فأساس كرامتي الإنسانية مبني على مدى علاقتي مع الآخر، فعليّ أن أعترف بالآخر كشبيه لي، وبمسؤوليتي تجاهه التي يوقظها فيّ وجوده وحضوره، وهذا لا يعني أن أختار أشخاص يناسبوني بل أن أطبقها على كل شخص، مهما كان علي أن أحترم كرامته الإنسانية وهذا ما يقودني إلى إدراك أن مفهوم كرامتي الإنسانية يتطلب مني احترامي لكرامة الآخر.

٢- الحرية الدينية من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية.

وتعني حرية اختيار الدين، ومزاولة الشعائر الدينية، وهي أصل من أصول الإسلام، فلا ينسب إلى النبي ﷺ أنه حمل أحدًا على اعتناق الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ

(١) أمانويل كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمه وقدم له وعلق عليه، د. عبد الغفار مكاوي، راجع الترجمة، د. عبد الرحمن بدوي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٢م، ص١١.

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).
ويقول تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴾ (الغاشية: ٢١) " [١].

فهذا المبدأ حرية اختيار الدين، يتجلى فيه تكريم الله تعالى للإنسان، وإحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدي والضلال في الاعتقاد.

ولقد أكدت وثيقة الأخوة الإنسانية هذا المبدأ، حيث أكدت على احترام كرامة الناس، واحترام حرياتهم، واعتقادهم، بصرف النظر عن الدين والعرق واللون، فقد جاء في الوثيقة: " باسمِ الحُرِّيَّةِ التي وَهَبَها اللهُ لكُلِّ البَشَرِ وفطَرَهُم عليها ومَيَّزَهُم بها" [٢].

ولقد أكد "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" هذا المبدأ وبين: " أن حرية العقيدة مكفولة في القرآن بنص صريح؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ (الكهف: ٢٩). وقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٦). وجاء في الدستور الذي بعث به النبي ﷺ إلى أهل اليمن: " من كره الإسلام من يهودي ونصراني فإنه لا يحول عن دينه " [٣]. ولم يسجل التاريخ عن المسلمين في البلاد التي حكموها حالة واحدة خيروا فيها أهل البلاد بين اعتناق الإسلام أو السيف، بل كانوا يُقِرُّون أهل هذه البلاد على أديانهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولا يرون بأسًا من العيش بجوارهم والاختلاط بهم والتزاوج معهم " [٤].

(١) د. محمد عمارة: فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي، ص٥٦-٥٧.
(٢) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر - البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.
(٣) عبد الرزاق بن همام الصنعاني: المصنف، حديث رقم (١٠١٠٠).بسند صحيح.
(٤) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص١١.

يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب": " كما ينبهنا الإسلام إلى حق أصيل فطر الله الإنسان عليه، وهو حق الحرية والتحرر من الضغوط، وبخاصة: ما يتعلق بحرية الدين والاعتقاد والتمذهب: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩). ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢٢) ﴿ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ (الشورى: ٤٨) [١].

لقد سار المسلمون على هذا المبدأ، فلم يعرف التاريخ شعبًا مسلمًا حاول إجبار أهل الذمة على الدخول في الإسلام، كما أقر بذلك المؤرخون الغربيون أنفسهم، ومنهم المؤرخ البريطاني "توماس أرنولدThomas Walker Arnold ت١٨٤٨م" الذي قال: " لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي" [٢]. ويقول أيضًا: " فمحمد نفسه قد عقد حلفًا مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة"[٣].

ويقصد "أرنولد ت١٣٤٨هـ " بعقد محمد ﷺ حلفًا مع بعض القبائل المسيحية، عقد معاهدة نجران، والتطبيق العملي لهذا المبدأ، فقد أعطى النبي ﷺ لنصارى

(١) أ. د. أحمد الطيب: الحرية والمواطنة التنوع والتكامل، كلمة للإمام الأكبر في مؤتمر الأزهر ومجلس حكماء المسلمين، المنعقد بالقاهرة خلال يومي ١،٢ من جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ، ٢٨فبراير و١ مارس ٢٠١٧م، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م، ص١٨-١٩.

(٢) توماس واكر أرنولد: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمه إلى العربية وعلق عليه، د. حسن إبراهيم حسن، د.عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧١م، ص٦٥. (وراجع: د. علي حسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الكتاب التاسع والأربعون، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م، ص١١٣-١١٤).

(٣) توماس واكر أرنولد: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ص٦٥.

نجران جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم: " ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ... "(١).

وبنفس الدرب كان صحابته رضوان الله عليهم جميعًا، فقد كتب أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لأهل نجران: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران، أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول اللهﷺ على أنفسهم، وأرضيهم، وملتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعبادتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأساقفهم، ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعسرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي ﷺ أبدًا... "(٢).

وكذلك كان عهد "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه لأهل إيلياء: " هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها وبريئيها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم... "(٣).

وهذا ما أكدته وثيقة الأخوة الإنسانية على أنَّ الحريَّةَ حَقٌّ لكُلِّ إنسانٍ: " اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا ومُمارَسةً، وأنَّ التَّعدُّدِيَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لمَشِيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ البشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا

(١) القاضي أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، صاحب الإمام أبي حنيفة: كتاب الخراج، ص٧٢.
(٢) المصدر نفسه: ص٧٣.
(٣) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت، ج٣، ص٦٠٩.

تَتَفَرَّعُ عنه حُقُوقُ حُريَّةِ الاعتقادِ، وحريَّةِ الاختلافِ، وتجريمِ إكراهِ الناسِ على دِينٍ بعَيْنِه أو ثقافةٍ مُحدَّدةٍ، أو فَرْضِ أسلوبٍ حضاريٍّ لا يَقبَلُه الآخَر" (١).

لقد كان من بين البنود التي اشتمل عليها كتاب رسول الله ﷺ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ، وأنه: «مَنْ كَرِهَ الْإِسْلَامَ مِنْ يَهُودِيٍّ، أَوْ نَصْرَانِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا يُحَوَّلُ عَنْ دِينِهِ»، إلى آخر كل هذه النصوص الدينية المُؤسِّسَة لحقِّ الحُريَّة والتحرُّر" (٢).

وكان لذلك السلام والتسامح أثر مهم في حياة المسيحيين، فالقول بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام قول ببعيد يقول "توماس أرنولد": " وإذا نظرنا إلى التسامح، الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين، في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق" (٣). إن التحويل إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقا لتعاليم القرآن ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٦). وقوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس: ٩٩). وإن مجرد وجود كثير جدًا من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قرونًا في ظل الحكم الإسلامي، لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون"(٤).

وترى المسيحية إن السلام قيّم للغاية: " وهو مقصد رجائنا، الذي تتطلّع إليه البشرية جمعاء، وترجيّ السلام هو موقف بشريّ يحتوي على تَوق وجودي، ولذلك فإننا: "نستطيع أن نواجه الحياة الحاضرة التي بالرغم من كونها مُتعِبة يُمكنها أن تُقبَل وتُعاش إذا كانت تُفضي إلى غايةٍ ما، وإذا ما كنّا أكيدين من تلك الغاية، وإذا

(١) أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر - البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، ص١-٢.
(٢) أ. د. أحمد الطيب: الحرية والمواطنة التنوع والتكامل، ص١٨-١٩.
(٣) توماس واكر أرنولد: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ص٨٨.
(٤) المصدر نفسه: ص٤٦١.

ما كانت تلك الغاية عظيمة لدرجة أنها تُبرِّرُ تعبَ المسيرة" [١]. يقول "الباب فرنسيس": "سلام لجميع سكان الأرض ولكلّ الأمم فيها" [٢].

ويطرح "البابا فرنسيس"، عدة أسئلة فيقول: كيف يمكننا بالتالي أن نبني طريق السلام والاعتراف المتبادل ؟. كيف نزيل منطق التهديد والخوف الخبيث؟. كيف نحطّم ديناميكية انعدام الثقة السائدة حاليّا؟.

ويجيب قائلًا: "علينا أن نعمل من أجل الأخوّة الحقيقية، التي تُبنى على أساسها المشترك في الله، والتي نمارسها عبر الحوار والثقة المتبادلة، إن الرغبة في السلام مدرجة بعمق في قلب الإنسان ولا يجب أن نقبل بأقل من ذلك"(٣).

إن العالم لا يحتاج إلى كلمات فارغة، بل إلى شهودٍ راسخين في قناعاتهم، وإلى صانعي سلام منفتحين على الحوار، وهذا ما قام به "الإمام الأكبر"، و"البابا فرنسيس"، في جولاتهم ومؤتمراتهم حول العالم، يرسخون قيم السلام والأمن والأمان بين المجتمعات، فلا يمكن الوصول إلى السلام حقًّا ما لم يكن هناك حوار حقيقيّ بين الرجال والنساء الذين يبحثون عن الحقيقة أبعد من الإيديولوجيات والآراء المختلفة، فالسلام ينبغي أن يُبنى باستمرار، فهو مسيرة نقوم بها معًا ساعين دائمًا إلى الخير العام وعاملين على الوفاء بالكلمة التي نعطيها وعلى احترام القانون، فمعرفة الآخرين وتقديرهم ينمُوان أيضًا عبر الإصغاء المتبادل، لدرجة أن نرى في العدو وجهَ أخٍ، وبالتالي فإن عمليّة السلام هي التزام يستمرّ مع مرور الوقت، إنه عمل صبور من البحث عن الحقيقة والعدالة؛ وفي حالة سيادة القانون، تستطيع

(١) بندكتس السادس عشر: الرسالة العامة بالرجاء مخلَّصون، منشورات موقع الفاتيكان، ٣٠ نوفمبر، تشرين الثاني ٢٠٠٧م، ص٨. وينظر: البابا فرنسيس: الأخوّة الأساس والطريق للسلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي السابع والأربعين للسلام، ص٧.

(٢) البابا فرنسيس: السياسة الصالحة هي في خدمة السلام، رسالة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠١٩ م، ص٥.

(٣) البابا فرنسيس: الأخوّة الأساس والطريق للسلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي السابع والأربعين للسلام، ص٩.

الديمقراطية أن تكون نموذجًا مهمًّا لهذه العملية، إذا كانت تقوم على العدالة وعلى الالتزام بحماية حقوق الجميع، ولاسيما الضعيف أو المهمّش، عبر البحث المستمرّ عن الحقيقة، إنه بناء اجتماعي وعمل مستمرّ، حيث يساهم الجميع بمسؤولية، على جميع مستويات المجتمع المحلّي والوطني والعالمي.

ويؤكد "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" على مساهمة الجميع بمسؤولية، على جميع مستويات المجتمع المحلّي والوطني والعالمي، نحو السلام، ما يقوم به الأزهر الشريف، حيث يمد يده من أجل ترسيخ علاقات الإخاء الإنساني، والسَّلام العالَميِّ بين الشَّرق والغَرب بصفة عامَّة، وبين الأزهر والمواطنين المُسْلِمين في أوروبا خاصة، في نهاية كلمته في البرلمان الألماني فيقول: " إن الأزهر إنما جاء ليمد يده إليكم، وإلى الإتِّحاد الأوروبيِّ من خلالكم، من أجل ترسيخ علاقات الإخاء الإنساني، والسَّلام العالَميِّ بين الشَّرق والغَرب بصفة عامَّة، وبين الأزهر والمواطنين المُسْلِمين في أوروبا خاصة، والَّذين أتوجَّهُ إليهم في ختام كَلِمَتِي أمام هذا البَرلمَان العَريق بأنْ يُمثلوا النموذج الإنساني الرَّاقي لتطبيقات للدِّين الإسلاميِّ، ولتعاليم نبيهم الَّذي بُعثَ رَحْمَةً للعالَمين جميعًا، وليس للمُسْلِمين وحدهم. [1].

ولا شك أن البشرية جمعاء في حاجة إلى التأكيد من خلال المؤسسات الدينية على منظومة القيم الإنسانية، والإيمان بالتنوع الحضاري والثقافي، والانطلاق للعيش معًا، من خلال المشترك الإنساني بين البشر جميعًا، والتأكيد على أن هذا التعايش هو من صميم رسالة الأديان جميعًا .

يقول "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب": " والأزهر مستعد لتقديم المناهج التعليمية التي تحمي أبناء المسلمين – في أوربا– من الاستقطابات المنحرفة، وتعينهم على تمثيل دينهم الإسلامي بحسبانه دينًا مؤهلًا للتعايش في كل

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٦.

زمان ومكان، وليتذكَّر المسلمون هنا أن دينهم هذا كانت له في قلب أوربا إضاءاتٌ إنسانيةٌ وحضاريةٌ، لا يزال صداها يتردد في أروقة الجامعات الأوروبية حتى يوم الناس هذا، وحسبُنا ما شهد به الأديب الألماني، "جوته Goethe"ومن قبله الأديب والناقد المسرحي "ليسنج Lessing" للإسلام وحضارة المسلمين" (١).

إذن فمبادئ التعايش السلمي سيجلب فوائد جمة على العالم أجمع، فضلاً عن كونه سيسهم في إرساء الأمن والاستقرار والسلم: " فإنه سيفتح آفاقًا رحبة أمام البلدان النامية بما يساعدها على تنمية قدراتها الاقتصادية ودعم مراكزها في نظام العلاقات الاقتصادية العالمية ورفع مكانتها في منظومة العلاقات الدولية، فقد برهنت خبرة التاريخ على أن تنفيذ هذه المبادئ لن يعترض مسيرة التطورات الاجتماعية لأن تقدم المجتمع الذي يفترض تحقيق تغييرات جذرية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية هو حتمية تاريخية لا مفر منها" (٢).

٣- ثمرات التعايش السلمي من خلال وثيقة الأخوة الإنسانية.

إن التسامح الديني هو أعظم ثمرة من ثمرات التعايش السلمي والتآخي الإنساني، والسماحة هي سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه الشدة، فهي وسط بين الشدة والتساهل، أي بين الإفراط والتفريط، وقد أشار النبيﷺ إلى هذه الخصلة فقال: "رحم الله رجلاً سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشترى، وإذا اقْتَضَى "(٣). فالتسامح ينبثق من التعاليم الواردة في القرآن والسنة: " التي تحث المسلمين على اعتماد السماحة في معاملة بعضهم بعضًا، أو معاملة من يخالفوهم في الدين " (٤).

(١) أ. د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص٢٦-٢٧.
(٢) يفيجيني ماكسيموفتش بريماكوف: الشرق بعد إنهيار النظام الاستعماري، ترجمة سامي عمارة ، نشر دار التقدم، موسكو، ط ١، ١٩٨٥م، ص١٦٢.
(٣) البخاري في صحيحه: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف، ج٣، حديث رقم ٢٠٧٦، ص٥٧.
(٤) د.حسن الميمي: أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، نشر دار الغرب الإسلامي، تونس ، ١٩٩٨م، ص١٠١.

فالمجتمع الإسلامي والمسيحي يتمتعان بروح السماحة وتقبل الآخر والتعايش معه، واللطف في المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية من البر والرحمة والإحسان، ويتمتع أيضًا بمكارم الأخلاق فلا يضيق صدره من آراء المخالفين وأفكارهم.

وهي الأخلاق التي نادى بها المسيح بن مريم عليه السلام، فقد ذكر "البابا فرنسيس" قول – عيسى عليه السلام – في الشريعة القديمة: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا، وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ، مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ " (١).

ويعقب "البابا فرنسيس بابا الفاتيكان" على ذلك فيقول: " نعرف ما تعنيه هذه الآية، إن أخذ أحدٌ منك شيئًا، فأنت تأخذ منه الشيء نفسه، كان هذا في الواقع يُعدّ تقدّمًا كبيرًا في الأخلاق، لأنه كان يمنع اللجوء إلى أعمال انتقاميّة تفوق الشرّ الذي حدث، إذا تسبّب لك أحدٌ في شرّ، تَرُدُّ عليه بالقدر نفسه، ليس أكثر، وَقْفُ النزاعات على أساس التساوي في الإساءة، وكان ذلك يُحسَب تقدُّمًا، غير أن "يسوع" يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، "أَمَّا أَنا فأَقولُ لكم: لا تُقاوِموا الشِّرِّير" (٢). لكن كيف يا ربّ ؟. إن كان أحد يظنّ بي سوءًا، وإن أساء أحد إليّ، أفلا يمكنني أن أردّ عليه بالقدر نفسه ؟. "لا"، يقول يسوع: لا للعنف، لا لأيّ شكل من أشكال عنف" (٣).

(١) إنجيل متى: ٥، ٣٨-٤٢.
(٢) إنجيل متى: ٥، ٣٩.
(٣) البابا فرنسيس: القدّاس الإلهيّ بمناسبة لقاء التّأمّل والرّوحانيّة حول "المتوسط حدود السلام" بمشاركة الأساقفة الكاثوليك للبلدان الواقعة على حدود البحر الأبيض المتوّسط، في مدينة باري – إيطاليا، الأحد ٢٣ فبراير، شباط ٢٠٢٠م، ص٩.

فعيسى عليه السلام يقول أيضًا: " أَحِبُّوا أَعداءَكم وصَلُّوا مِن أَجلِ مُضطَهِديكُم[١]. وقد تقول إنه يقول هذا لإثارة الانتباه، ربما لا يعني ذلك حقًا، لكنه، يعني حقًّا ما يقول، لا يلجأ يسوع –عيسى عليه السلام– هنا إلى المفارقات أو لباقة الكلام، فكلامه مباشر وواضح، يذكر الشريعة القديمة ويقول بصورة رسمية: "أَمَّا أَنا فأَقولُ لكم: "أَحِبُّوا أَعداءَكم وصَلُّوا مِن أَجلِ مُضطَهِديكُم"[٢].

ويبين "الباب فرنسيس بابا الفاتيكان" بأن الآيات الواردة على لسان يسوع – عيسى عليه السلام – كلمات مقصودة، كلمات دقيقة، فيقول: "هذا هو الجديد في المسيحيّة، هذا هو الاختلاف في المسيحية، صلّوا وأحبّوا: هذا ما يجب علينا أن نعمله، وليس فقط مع الذين يريدون الخير لنا، ليس فقط مع الأصدقاء، ليس فقط مع شعبنا، لأن محبّة يسوع لا تعرف الحدود والحواجز، يسوع يطلب منّا شجاعة الحبّ دون أيّ حساب، لأن قياس الحب لدى يسوع هو الحبّ دون قياس، ونحن؛ كم مرّة أهملنا ما يطلبه منّا، وتصرّفنا مثل الجميع !. إن وصيّة المحبّة ليست نوعًا من الاستفزاز أو التحدّي، هي قلب الإنجيل، في محبّة الجميع نحن لا نقبل الأعذار والمبرّرات ولا نعِظ بالحذر المريح " [٣].

ومن ثمرات التعايش السلمي تحقيق مبدأ العدل والمساواة، وهذا ما أكده "الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب" بقوله: "إن شريعة الإسلام شريعة مؤسسة على مبادئ العدل والمساواة والحرية وحفظ كرامة الإنسان، وقد أعلن نبي الإسلام مبدأ المساواة بين الناس في زمن لم يكن قد نضج فيه العقل البشري بالنضج الذي يؤهله لاستيعاب فحوى هذا المبدأ أو التنبه لمحوريته في حياة الناس؛ لأنه لم يكن يعرف مجتمعًا غير مجتمع الطبقية والعبيد والسادة، ومن قلب هذا الفراغ أطلق

(١) إنجيل متى: ٥، ٤٥.
(٢) إنجيل متى: ٥، ٤٥.
(٣) البابا فرنسيس: القدّاس الإلهيّ بمناسبة لقاء التّأمّل والرّوحانيّة حول "المتوسط حدود السلام" بمشاركة الأساقفة الكاثوليك للبلدان الواقعة على حدود البحر الأبيض المتوّسط، في مدينة باري، ص٩.

محمد ﷺ صرخته الخالدة: " النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ " [١]. ولم تمض على وفاة النبي ﷺ عشر سنوات حتى جاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ليصرخ هو الآخر في وجه أحد الولاة المسلمين، وهو يُعنِّفه: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟ !. [٢].

فالتسامح ثمرة للتعايش ونتيجة عنه، فلا يمكن أن يكون التسامح إلا بعد عيش مشترك لجماعة من الناس، تحمل أفكارًا وتصورات متباينة، وتمارس عادات متنوعة، وتنتمي لديانات مختلفة، وهو قيمة راقية لا تصدر إلا عن نفوس كريمة، فالتعايش السلمي، يدعو الناس إلى التسامح والتآخي، فإذا حققوا ذلك، استطاع العالم أن يرسم ملامح الحضارة الإنسانية، المبنية على الحقوق والواجبات، وهذا ما أراده القرآن الكريم قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠).

إذن من خلال ما سبق اتضح لنا الجانب الأخلاقي في "وثيقة الأخوة الإنسانية"، تبين من خلاله أن من القيم الأخلاقية، مبدأ الأخوة الإنسانية وحرمة النفس، كذلك من القيم الأخلاقية التعايش السلمي وقبول الآخر.

(١) أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي: العزلة، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ، حديث رقم ٥٤، من حديث سهل بن سعد .

(٢) أ.د. أحمد الطيب: كلمة في البرلمان الألماني، ص١٣.

خاتمة البحث

توصّلنا بعد الدّراسة والبحث إلى جملة من النتائج تتمثّل أهمّها في النّقاط الآتيّة:

١- للإمام الأكبر فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان، دور كبير وجهد راسخ في ترسيخ مبادئ القيم الأخلاقية والسلام والعيش المشترك وقبول الآخر، والعمل المشترك بين الشرق والغرب.

٢- أن الأخوة الإنسانية لا تتم إلا بالصفح والمسامحة والسلام والأمن والأمان ونشر مكارم الأخلاق وتبادل المنافع بين البشرية، وعدم نظرة الغرب إلى الشرق نظرة التدني.

٣- تشكل الأخوّة الإنسانية بُعدًا أساسيًّا للإنسان، الذي هو عبارة عن كائن علائقي، واليقين الحيّ لهذه العلائقيّة يحملنا لنرى ونعامل كل شخص، كأخت حقيقيّة، وأخ حقيقيّ، وبدون هذه العلائقيّة يصبح من المستحيل بناء مجتمع عادل وسلام صلب ودائم .

٤- أن الأخلاق والمبادئ لا تنفك عن الدين، فهي تظهر بصور مختلفة، ولغات مختلفة، فكونها تُقدَّم بلغة دينية، فذلك لا يُجردها من أية قيمة في النقاش العام.

٥- أنه لا مفر للشرق والغرب من الوقوف خلف الآخر والتمسك بالأخوة الإنسانية والقيم الأخلاقية، وانفتاح كلًا منهما على الآخر، والتصدي لخطر الإرهاب الذي ينفث سمومه على البشرية جمعاء، حيث إن الإرهاب لا يُفَرِّق بين ضَحايَاه ما داموا لا يعتنقون أيديولوجيته وأفكاره المُتطرِّفة.

٦- أن حماية حقوق المسنين والضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة والمستضعفين ضرورة دينية ومجتمعية يجب العمل على توفيرها وحمايتها بتشريعات حازمة وبتطبيق المواثيق الدولية الخاصة بهم.

٧- للأخلاق في الديانات السماوية مكانة بالغة الأهمية فهي "الروح" التي تسري في كل تشريعاتها؛ وهي الأصل الثابت في كل أحكامها وأوامرها ونواهيها، سواء منها ما تعلق بالفرد أو بالأسرة أو بالمجتمع أو بالحكم أو بالعلاقات الدولية.

٨- أن التعايش والسلام وقبول الآخر بين أهل الأديان، ينبغي أن ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية، في المجالات ذات الاهتمام المشترك، وفيما يمس حياة الإنسان.

٩- أن القيم والأخلاقيات الحميدة هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات، وأيضًا تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات، وتحفَظ للمجتمع تماسكه، وتحدِّد أهدافه ومُثلَه العليا ومبادئه الثابتة لممارسة حياة اجتماعية سليمة.

١٠- ترى المسيحية أن السلام قيّم للغاية وهو مقصد رجائها، الذي تتطلّع إليه البشرية جمعاء، وترجيّ السلام هو موقف بشريّ يحتوي على تَوق وجودي .

١١- تؤكد آيات القرآن الكريم على أن البشر جميعًا أخوة في الإنسانية، كما تؤكد أيضًا على حرمة النفس الإنسانية، وأنه ليس لمخلوق بشري على آخر، أن يتعالى أو يتكبر أو يدعي أنه أفضل منه، بل يجب عليه أن يتعامل معه كأخ في الإنسانية يحترم حقوقه ويحافظ عليها، طالما لم يعتدي عليه، وطالما عاش وتعامل معه في سلم وسلام وأمن وأمان، فأصلهم واحد من نفس واحدة مهما اختلفت ألوانهم، و معتقداتهم، وأجناسهم، وأوطانهم فهم أخوة من أصل

واحد، وهذا الأمر لا خيار فيه للإنسان، فليس من حقي أو من حقك أن تعطي لنفسك أفضلية على أي مخلوق آخر لأننا أخوة في الإنسانية، وأصلنا ومكوناتنا النفسية واحدة بمعنى أن البشر جميعًا خلقوا من نفس واحدة، ويؤكد القرآن الكريم أن الناس جميعًا قد خُلِقُوا من نفس واحدة.

١٢- أن التعاليم الصحيحة للأديان تدعو إلى التمسك بقيم السلام وإعلاء قيم التعارف المتبادل والأخوة الإنسانية والعيش المشترك، وأن الحرية حق لكل إنسان اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا وممارسة، وأن التعددية والاختلاف في الدين واللون والجنس والعرق واللغة حكمة لمشيئة إلهية، قد خلق الله البشر عليها، وجعلها أصلًا ثابتًا تتفرع عنه حقوق حرية الاعتقاد، وحرية الاختلاف، وتجريم إكراه الناس على دين بعينه أو ثقافة محددة، أو فرض أسلوب حضاري لا يقبله الآخر.

١٣- أن العدل القائم على الرحمة هو السبيل الواجب اتباعه للوصول إلى حياة كريمة، يحق لكل إنسان أن يحيا في كنفها.

١٤- أن الحوار والتفاهم ونشر ثقافة التسامح وقبول الآخر والتعايش بين الناس، من شأنه أن يسهم في احتواء كثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والبيئية التي تحاصر جزءا كبيرا من البشر.

١٥- أن الحوار بين المؤمنين يعني التلاقي في المساحة الهائلة للقيم الروحية والإنسانية والاجتماعية المشتركة، واستثمار ذلك في نشر الأخلاق والفضائل العليا التي تدعو إليها الأديان، وتجنب الجدل العقيم.

١٦- أن حماية دور العبادة، من معابد وكنائس ومساجد، واجب تكفله كل الأديان والقيم الإنسانية والمواثيق والأعراف الدولية، وكل محاولة للتعرض لدور

العبادة، واستهدافها بالاعتداء أو التفجير أو التهديم، هي خروج صريح عن تعاليم الأديان، وانتهاك واضح للقوانين الدولية

١٧- أن الإرهاب البغيض الذي يهدد أمن الناس، سواء في الشرق أو الغرب، وفي الشمال والجنوب، ويلاحقهم بالفزع والرعب وترقب الأسوأ، ليس نتاجا للدين – حتى وإن رفع الإرهابيون لافتاته ولبسوا شاراته – بل هو نتيجة لتراكمات الفهوم الخاطئة لنصوص الأديان وسياسات الجوع والفقر والظلم والبطش والتعالي؛

١٨- أن مفهوم المواطنة يقوم على المساواة في الواجبات والحقوق التي ينعم في ظلالها الجميع بالعدل لذا يجب العمل على ترسيخ مفهوم المواطنة الكاملة في مجتمعاتنا؛

١٩- أن الاعتراف بحقوق المرأة ضرورة ملحة، وكذلك وجوب العمل على تحريرها من الضغوط التاريخية والاجتماعية المنافية لثوابت عقيدتها وكرامتها؛ وأن للأطفال حقوق أساسية في التنشئة الأسرية، والتغذية والتعليم والرعاية، واجب على الأسرة والمجتمع، وينبغي أن توفر وأن يدافع عنها، وألا يحرم منها أي طفل في أي مكان؛

٢٠- أن حماية حقوق المسنين والضعفاء وذوي الاحتياجات الخاصة والمستضعفين ضرورة دينية ومجتمعية يجب العمل على توفيرها وحمايتها بتشريعات حازمة وبتطبيق المواثيق الدولية الخاصة بهم.

٢١- أن منهجية الأزهر الشريف قائمة ودائمة على التجديد في خطابه ومناهجه التعليمية، وأن عُلَمَاء الأزهر الشريف يتصدون الآن في كل مكان للأفكار المَغلُوطة، التي تَحرِّف الدِّين وتستغله في الدعوة إلى الفِتنة العَمْيَاء الَّتي تَسْتَحِلّ الدِّمَاء وتُدَمِّر الأوطَان، وذلك من خلال وسائل عدة؛ منها القوافل

التي تجوب العالم للدعوة إلى السلام العالمي، وتُحصِّنُ عقول الشباب من التردي في بؤرة الإرهاب، وكذلك من خلال مرصد الأزهر الإلكتروني الذي يعمل بلغات عدة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث).

- **القر آن الكريم.**

أولًا: أهم المصادر والمراجع للإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف وقداسة البابا فرنسيس بابا الفاتيكان.

١- **الطيب – فرنسيس:** (أ.د . أحمد محمد أحمد – البابا فرنسيس بابا الفاتيكان): وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٤-٢- ٢٠١٩م.

٢- **الطيب** (أ.د . أحمد محمد أحمد): الحرية والمواطنة التنوع والتكامل، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٣- **الطيب** (أ.د . أحمد محمد أحمد): السلام أولًا، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٤- **الطيب** (أ.د . أحمد محمد أحمد): الشرق والغرب والسلام المنشود، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٥- **الطيب** (أ.د . أحمد محمد أحمد): رأي في حوار الشرق والغرب ، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٦- **الطيب** (أ.د . أحمد محمد أحمد): مقومات الإسلام، طبع الحكماء للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٧- **الطيب** (أ.د. أحمد محمد أحمد) : كلمة في البرلمان الألماني، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٨- **فرنسيس (البابا فرنسيس):** خطاب البابا إلى المشاركين في الاجتماع الدولي من أجل السلام برعاية جماعة سانت إيجيديو، منشورات موقع الفاتيكان ٣٠ أيلول، سبتمبر، ٢٠١٣م.

٩- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، تغلَّب على اللامبالاة واكسَب السلام، نشر موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠١٦ م.

١٠- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** الأخوّة الأساس والطريق للسلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي السابع والأربعين للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من كانون الثاني ٢٠١٤م.

١١- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس فرح الحب من البابا فرنسيس إلى الأساقفة والكهنة والشماسة الإنجيليين والمكرسين، التقرير النهائي للسينودس، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٥م.

١٢- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** الإرشاد الرسولي ما بعد السينودس الأمازون الحبيب من الأب الأقدس فرنسيس إلى شعب الله وإلى جميع الأشخاص ذوي الإرادة الطبية، نشر أوسيرفاتوري رومانو، الطبعة الإيطالية، موقع الفاتيكان،٢١ يناير، كانون الثاني، ٢٠١٨ م.

١٣- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** السلام كمسيرة رجاء حوار ومصالحة وتوبة بيئيّة، رسالة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠٢٠ م.

١٤- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** السياسة الصالحة هي في خدمة السلام، رسالة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠١٩ م.

١٥- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** القدّاس الإلهيّ بمناسبة لقاء التّأمّل والرّوحانيّة حول "المتوسط حدود السلام" بمشاركة الأساقفة الكاثوليك للبلدان الواقعة على حدود البحر الأبيض المتوّسط، في مدينة باري إيطاليا، منشورات موقع الفاتيكان، الأحد ٢٣ فبراير، شباط ٢٠٢٠م.

١٦- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** اللاعنف أسلوب سياسة من أجل السلام، رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي الخمسين للسلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني، ٢٠١٧م.

١٧- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** المقابلة العامّة عَبر وسائل التواصل الاجتماعي تعليم في شفاءِ العالم، منشورات مكتبة القصر البابوي، الفاتيكان، الأربعاء ١٩ أغسطس آب ٢٠٢٠م.

١٨- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** خطاب البابا إلى المشاركين في الاجتماع الدولي من أجل السلام برعاية جماعة سانت إيجيديو، منشورات موقع الفاتيكان، ٣٠ أيلول، سبتمبر ٢٠١٣م .

١٩- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** رسالة عامة بابوية كُنْ مُسَبَّحًا حول العناية بالبيت المشترك، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٠١٩م.

٢٠- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** رسالة بابوية عامة في الأخوّة والصداقة الاجتماعية ، منشورات موقع الفاتيكان،٢٠١٩م.

٢١- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** رسالة قداسة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي التاسع والأربعين للسلام، تغلَّب على اللامبالاة واكسَب السلام، منشورات موقع الفاتيكان، الأول من يناير، كانون الثاني ٢٠١٦م.

٢٢- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** عظة خلال القداس الإلهي، كولومبو – سريلانكا، منشورات موقع الفاتيكان، ١٤ كانون الثاني، يناير ٢٠١٥م.

٢٣- **فرنسيس (بابا الفاتيكان):** من قداسة البابا فرنسيس إلى الشبيبة وإلى كلّ شعب الله، لوريتو، قرب البيت المقدّس، منشورات موقع الفاتيكان، ٢٥ مارس، آذار ٢٠١٩م.

ثانيًا: أهم المصادر والمراجع العامة للبحث.

٢٤- **آبادي (الفيروز):** القاموس المحيط، تحقيق، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، د.ت.

٢٥- **آبادي** (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق، محمد علي النجار، دار إحياء التراث العربي، القاهرة مصر، ط٣،١٤١٦ هـ، ١٩٩٦م.

٢٦- **ابن إبراهيم** (القاضي أبي يوسف يعقوب صاحب الإمام أبي حنيفة): كتاب الخراج، اقترح عليه إنشاءه وتصنيفه كبير ملوك الأرض في عصره هارون الرشيد أمير المؤمنين، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٧- **ابن حنبل** (أبو عبد الله أحمد:) مسند أحمد، نشر بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٨- **ابن عاشور** (محمد الطاهر): أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط١، ١٩٧٩م.

٢٩- **ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمرت٧٧٤هـ)**:: تفسير القرآن العظيم، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٠- **ابن مسكويه (أحمد بن محمد)**: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه ابن الخطيب هـ نشر المطبعة المصرية، القاهرة، ط١، د.ت.

٣١- **ابن منظور (أبي الفضل محمد بن مكرم)**: لسان العرب، نشر دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٣٢- **أبو الفتوح (محمد حسين)**: معجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف، في صحيح البخاري، نشر مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٣٣- **أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني)** : سنن أبو داود، نشر المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،د.ت.

٣٤- **أرنولد (توماس واكر)**: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمه إلى العربية وعلق عليه، د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد

المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧١م.

٣٥- **الأصفهاني (الحسين بن محمد الراغب):** المفردات في غريب القرآن، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٧٠م.

٣٦- **الأصفهاني (الحسين بن محمد الراغب):** الذريعة إلى مكارم الشريعة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٧- **أنِس (جيمس):** علم اللاهوت النظامي، تحقيق، منيس عبد النور، نشر الكنيسة الإنجيلية، القاهرة، د.ت.

٣٨- **بابللي (د. محمود محمد):** معنى الأخوة في الإسلام ومقاصده، سلسلة دعوة الحق، العدد ٣٨، السنة الرابعة، جمادى الأولى، نشر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٣٩- **بباوي (وليم وهبه):** دائرة المعارف الكتابية، تقديم، منيس عبد النور و فايز فارس و أندريه ذكي و أنور ذكي:، نشر دار الثقافة، القاهرة، ط٢، د.ت.

٤٠- **البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ):** صحيح البخاري، تحقيق، محمد الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ .

٤١- **بريماكوف (يفيجيني ماكسيموفتش):** الشرق بعد إنهيار النظام الاستعماري، ترجمة سامي عمارة ، نشر دار التقدم، موسكو، ط ١، ١٩٨٥م.

٤٢- **بندكتس (السادس عشر):** الرسالة العامة بالرجاء مخلَّصون، منشورات موقع الفاتيكان، ٣٠ نوفمبر، تشرين الثاني،٢٠٠٧م.

٤٣- **بولس السادس (البابا بولس السادس):** الرسالة العامة ترقي الشعوب، منشورات موقع الفاتيكان، عدد ٨٧، ٢٦ آذار مارس،، ١٩٦٧م.

٤٤- **البياتي (د. منير حميد):** النظام السياسي الإسلامي، نشر دار البشير، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

٤٥- **البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر)**: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٦- **الترمذي (محمد بن عيسي بن سورة ت٢٧٩هـ)**: سنن الترمذي، نشر بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، د.ت.

٤٧- **تشايز- ميناو (أنطونيا -ومارثا)**: تخيل التعايش معًا تجديد الإنسانية بعد الصراع الأثني العنيف، ترجمة، فؤاد السروجي، راجعه، محمود الزواوي، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٨- **التهانوي (محمد علي)**: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة، د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية، د. جورج زيناتي، نشر مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٤٩- **التوحيدي – ابن مسكيه: (أبي حيان)، (أحمد بن محمد)**: الهوامل والشوامل، نشره، د. أحمد أمين – السيد أحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٠هـ، ١٩٥١م.

٥٠- **التويجري (د.عبد العزيز بن عثمان)**: الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٥١- **التويجري (د.عبد العزيز بن عثمان)**: الحوار من أجل التعايش، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٥٢- **الجاحظ (عمرو بن بحر)**: تهذيب الأخلاق، تعليق، إبراهيم محمد، نشر دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٩٨٩م.

٥٣- **الجرجاني (علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني)**: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

٥٤- **الجزري (مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير)**: جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ،نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

٥٥- **حبنكة (عبد الرحمن حسن)**: الأخلاق الإسلامية وأسسها، نشر دار القلم، دمشق، ط ٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٥٦- **الخربوطلي (د. علي حسني)**: الإسلام وأهل الذمة، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الكتاب التاسع والأربعون، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٥٧- **خرشوف (نيكيتا)**: التعايش السلمي كما أفهمه، تعريب، نجده هاجر، وسعيد الغز، نشر مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط١، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

٥٨- **الخطابي (أبي سليمان حمد بن محمد)**: العزلة، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٥٩- **الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)**: مختار الصحاح، نشر المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦٠- **الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني المرتضى)**: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية، الكويت، ١٩٦٥م.

٦١- **الزبيدي (محمد مرتضى)**: تاج العروس، نشر المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.

٦٢- **الزغبي (د. فتحي محمد)**: فلسفة الأخلاق عند مسكويه، نشر مكتبة الأشول للطباعة، طنطا، مصر، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٦٣- **زهران (د. حامد عبد السلام)**: علم النفس الاجتماعي، نشر عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧م.

٦٤- **سانو(قطب)**: فن التواصل مع الآخر معالم وضوابط ووسائل، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني نحن والآخر، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٦٥- **سيد (د. جابر عوض أحمد)**: البيئة والتنمية والخدمة الاجتماعية، نشر دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، مصر، ١٩٩٥م.

٦٦- **شاتليه (فرانسوا)**: إيديولوجيات الحرب والسلم، ترجمة، جوزف عبد الله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ،١٩٨١م.

٦٧- **صعب (د.حسن)**: الإسلام والإنسان، نشر دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.

٦٨- **صليبا (د. جميل)**: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

٦٩- **الصنعاني(أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني)**: المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ ١٤٠٣هـ.

٧٠- **الطبري (محمد بن جرير)**: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٤، د.ت.

٧١- **عبود (د. عبد الغني)**: العقيدة الإسلامية والأيديولوجيات المعاصرة، نشر دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٧٢- **العقاد (أ. عباس محمود)**: الإنسان في القرآن، نشر دار الإسلام، القاهرة، ١٩٧٣م.

٧٣- **عمارة (أ.د.محمد)**: فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر الديني والثقافي، مجلة حراء اسطنبول، شركة إيشك للنشر، اسطنبول، السنة الثالثة، عدد٩، أكتوبر – ديسمبر، ٢٠٠٧م.

٧٤- **الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ت٥٠٥هـ)**: إحياء علوم الدين، نشر دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١،١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٧٥- **فارس (د. فايز)**: علم الأخلاق المسيحية، نشر دار الثقافة، القاهرة، د.ت.

٧٦- **القرطبي (محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح ت ٦٧١هـ)**: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق، هشام سمير البخاري، نشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٧٧- **قطب (د. محمد)**: الإنسان بين المادية والإسلام، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١٠، ١٩٨٩م .

٧٨- **قميحة (د. جابر)**: مدخل إلى القيم الإسلامية، نشر دار الكتاب المصري، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م .

٧٩- **كانط (أمانويل)**: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمه وقدم له وعلق عليه، د. عبد الغفار مكاوي، راجع الترجمة، د. عبد الرحمن بدوي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٢م.

٨٠- **الكتاب المقدس (الكتاب المقدس ترجمة العالم الجديد)**: مترجم عن الطبعة الإنكليزية المنقحة، نشر اليابان، ١٩٨٤م.

٨١- **كينغ (هانس "Hans Kung")**: مشروع أخلاقي عالمي: دور الديانات في السلام العالمي، عربه عن الألمانية، جوزيف معلوف، وأورسولا عساف، ضمن سلسلة دراسات أخلاقية، ٢، نشر المكتبة البولسية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٨٢- **المانع (د. مانع بن محمد بن علي)**: القيم الأخلاقية بين الإسلام والغرب، دار الفضيلة، الرياض السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٨٣- **مدكور: (د. إبراهيم مدكور)**: المعجم الفلسفي، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٨٤- **المَرْوَزِي (أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج)**: تعظيم قدر الصلاة، تحقيق، د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٨٥- **مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ت٢٦١هـ)**: صحيح مسلم، تحقيق ، نظر محمد الفاريابى ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، ط١، ٢٠٠٦م.

٨٦- **مصطفى – عبد الفتاح (د. نادية محمود)،(د. سيف الدين)**: القيم في الظاهرة الاجتماعية، نشر دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط١، ٢٠١١م.

٨٧- **مصطفى (د.حسين فهمي)**: التعايش السلمي ومصير البشرية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٩٦٨م.

٨٨- **المناوي (عبد الرؤوف)**: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، ط١، نشر عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٨٩- **منزريدي (جورج)**: الأخلاق المسيحية، نقله إلى العربية الأب ميشال نجم، نشر مكتبة الكتب المسيحية، لبنان، د.ت.

٩٠- **مهني (أ.د. ثروت عبد الرحمن حسن)**: بغية المشتاق إلى دراسة علم الأخلاق، نشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ١٤٢٢هـ.

٩١- **الميمي (د.حسن)**: أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، نشر دار الغرب الإسلامي، تونس ، ١٩٩٨م.

٩٢- **النجار (د. عبد المجيد)**: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

٩٣- **نصراوين (عدنان)**: اليونسكو ومهمة بناء حصون السلام في عقول البشر، مطبعة الدستور التجارية، عمان، ط١، ١٩٩٧م.

٩٤- **نصير: (د. آمنة محمد)**: إنسانية الإنسان في الإسلام، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

٩٥- **النيسابوري (أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم)**: المستدرك على الصحيحين، تحقيق مجموعة من الباحثين المصريين، نشر دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٩٦- **النيسابوري (أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم):** المستدرك على الصحيحين، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

٩٧- **الهواري- النظير (أ.د. سعيد عبد الحميد)، (أ.د. نظير محمد محمد):** محاضرات في علم الأخلاق، نشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ٢٠١٢م.

٩٨- **الوسيط (المعجم):** مجمع اللغة العربية، نشر دار الفكر، القاهرة، ط٢، د.ت .

٩٩- **وكيع (وكيع بن الجراح):** نسخة وكيع عن الأعمش، حققها، عبد الرحمن الفريوائي، نشر الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٠٠- **ياكوبوس (الأنبا):** التدبير الداخلي في الحياة الروحية، سلسة البناء الروحي للفرد المسيحي، نشر كاتدرائية السيدة العذراء وماريوحنا الرسول بالزقازيق، مصر، ط١، يناير ٢٠٠٢م.

١٠١- **يوحنا (يوحنا الثالث والعشرين):** الرسالة العامة للبابا يوحنا الثالث والعشرين السلام في الأرض، منشورات موقع الفاتيكان،١١ نيسان ١٩٦٣م.

١٠٢- **يوحنا (يوحنا بولس الثاني):** الرسالة العامة الاهتمام بالشأن الاجتماعي، منشورات موقع الفاتيكان،٣٠ كانون الأول ديسمبر ١٩٨٧م.